
روائع
شكسبير
ترجمة وتقديم : جبرا ابراهيم جبرا
هاملت
أمير الدانمارك
المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

مأساة

هاملت

أمير الدانمارك

وليم شكسبير

مأساة
هاملت
أمير الدانمارك

عرّبها وقدّم لها :

جبرا ابراهيم جبرا

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير
ت : ٣١٢١٥٦ ـ برقياً ، موكيالي ، بيروت
ص . ب . ١١/٥٤٦٠ بيروت

الطبعة الخامسة
١٩٧٩

هـــاملت

بين العبث وضرورة الفعل

شخصية هي من أشهر الشخصيات ، منذ أن شوهدَت لاول مرة قبل اكثر من ثلاثة قرون ونصف قرن ، على خشبة مسرح في لندن : لا شخصية واقعية بل شخصية خلقها خيال شاعر ، فتجسدت في خيال الحضارة اكثر مما تجسد أي رجل عاش التاريخ وصنعه . هذه شخصية هاملت . شخصية لا تستنفَد مهما تأملها المتأملون ، وتبقى حيّة تغري بالتأمل كأن « ألسينور » ، القلعة التي عــاش فيها هاملت مأساته ، جمعت رموز حضارة برمتها ، حضارة تعظّم الفكر والتساؤل ، تحسّ بروعة الدنيـا وجمال الانسان ، ولكنها تحسّ ايضاً « بالابخرة الموبوءة » الـتي تغزو الحياة ، والغوامض الرهيبة التي تكتنف الانسان .

وليس عجيباً أن تكون مسرحية « هاملت » أحب مسرحية للناس في تأريخ الادب والتمثيل . انهـا أشد مآسي شكسبير صقلاً ، وأكملها شكلاً ، وأكثرها تنويعاً وحشداً . وهي تعتمد في الظاهر على فكرة بسيطة واضحة : هل سينتقم هاملت لأبيه ؟ ولكنها تبـدأ بظلام منتصف الليل وتسير خلال ظلمات النفس

وظلمات العقل ، لتكشف لنا عن حب بريء ينتهي الى الجنون فالغرق ، وحب فاسق يشق طريقه بالقتل والمكيدة الى الحكم ثم السقوط بالدم ، وشباب عميق الحس والفكر يجرّ الخطى نحو المأساة الاخيرة ، حيث يكون في انتقام المنتقم موته وموت الآخرين .

ما هذه الا ظواهر المسرحية . انها الحركة السائرة فوق خضمّ من الرموز والمعاني ، وسحرها الدائم كامن في هذه الرموز وهذه المعاني .

يقول كولردج : « يبدو أن شكسبير أراد ان يضرب مثلاً في هاملت على الضرورة الخلقية في تحقيق التوازن بين عنايتنا بما تدركه حواسنا وتأملاتنا في ما يجري في أذهاننا : التوازن بين العالم الحقيقي والعالم الخيالي . هذا التوازن في هاملت مضطرب . فأفكاره وأخيلته أشد وضوحاً لديه من مدركاته الفعلية ، وهذه المدركات بعينها اذ تعبر بين اطواء تأملاته ، تكتسب اثناء عبورها شكلاً ولوناً هما غريبان عنها في الواقع . ولذا نرى نشاطاً ذهنياً عارماً ، يوازيه عزوف مماثل عن الفعل الحقيقي الذي يجب ان ينتج عنه . وشكسبير يضع بطله في ظروف تحتم عليه الفعل الآني بدافع الساعة ، فهاملت شجاع لا يحفل بالموت . غير أنه يتردد نتيجة لخواطره ، ويماطل نتيجة لفكره ، ويفقد القدرة على الفعل وهو في شدة العزم . »

في هذه العبارة عيّن الشاعر الناقد الرومانسي مشكلة هاملت، وان يكن في تعيينها على هذا النحو قد عيّن ايضاً مشكلة من مشاكل النفس الرومانسية في القرن التاسع عشر . غير انه وضع يده على مفتاح المأساة ، واتاح السبيل الى رؤية مشكلة هاملت من

ناحية تفرعت عنها نواحٍ عديدة ، اختلف فيها النقاد والمفكرون وعلماء النفس . فكولردج يقول ما معناه ان مأساة هاملت هي مأساة الفكر ، أو مأساة التناقض بين الفكر والفعل ، انهـا مأساة رجل شجاع ذكي تمنعه تأملاته في ما ينوي فعله عن تحقيق ذلك الفعل . لكن هل يفسّر هـذا الرأي اكثر من ظاهرة واحـدة لمشكلة هاملت ؟ وكيف يفقد القـدرة على الفعل نتيجة لفكره ؟

تبدأ ضرورة الفعل عنـد هاملت عندما يظهر له طيف ابيه الملك بعد مرور حوالي شهرين على وفاته ليقول له ان كلوديوس، أخا الملك وعم هاملت ، قد قتله وتزوج من الملكة ونصب نفسه ملكاً على العرش، ويحث هاملت على الانتقام له . فيصمم هاملت على الانتقام ، لكنه يتوانى في تنفيذ رغبة الطيف ، وفي توانيه تنسرح أحداث القصة، وتنفتح نفس هاملت عن غوامضها . يجب ان ندرك اولاً انه ليس بالمتواني لمجرد رقة في طبعه واضطراب في ضميره ، مما قد يقترن بالحساسية المفرطة والتفكير العميق في شاب قضى عشر سنين في دراسة جامعية ، لاننا نراه قادراً عنـد الضرورة على الفعل المريع الخاطف . فهو لا يكاد يخاطب الملك الا باهانة ، ولا بولونيوس وزيره المهذار الا بتهكم . ويقـابل حبيبته أوفيليا بالقسوة والتعريض الجارح ، واذا ما سمع صوتاً خلف الستارة في غرفـة امه ، استل سيفه وضرب بولونيوس المختبىء وراءها ضربة قاضية، وعندما يأخذه رفيقاه روزنكرانتز وغلدنسترن ، بأمر من الملك ، في رحلة يراد بها تسليمه الى من سيقتله ، يتخلص منهما ببراعة لكي يقتلا عوضاً عنه . وهو اول من يقتحم سفينة القراصنة عندما تهاجم المركب الذي يحمله الى

انكلترا ، وفي المبارزة الاخيرة ، يطعن لرتيس ، ثم يطعن الملك ويقحم خمره المسمومة بين شفتيه .

من يستطيع ذلك كله ليس فاقد القـدرة على الفعل ، ولن تخونه العزيمة عندما يشاء . غير ان هاملت لا يسرع في تنفيذ الانتقام ، وينصرف الى التأمل والتفكير والجدل . وقـد قال شليغل ــ ورأيه يقارب رأي كولردج ــ إن المسرحية تحاول ان ترينـا ان « هاملت ينافق ازاء نفسه ، وما شكوكه وتوجساته على الاغلب الا اعذار يقصد منها تغطية حاجته الى التصميم ... انه لا يؤمن ايماناً ثابتاً بنفسه ولا بأي شيء آخر ... انه يضيّع نفسه في متاهات الفكر . »

لا ريب ان شكسبير اراد شيئاً من هـذا في هاملت فجعل ازاءه رجلين هما على النقيض منه، للتوكيد على خصلة التردد فيه : لرتيس الذي حالما يعلم بمقتل ابيه بولونيوس يقود ثورة على الملك، وفرتنبراس الذي يقيم حرباً على بولنده ولو « من اجـل قشرة بيضة ! » . وكذلك الملك لعله يردّد رأي شكسبير حين يخاطب لرتيس حاثاً اياه على الثأر من هاملت ، بقوله :

ان ما نبغي فعله
يجب فعله عندما نبغي ، لأن « نبغي » هذه تتبدل ،
ويعتورها من النقص والتسويف
بقدر ما هنالك من ألسن وأيد وصُدَف .
وعندها نرى ان « يجب » هذه أشبه بزفرة مضنية
تروّح عن النفس ولكنها تؤذي الجسد .

« الألسن والايدي والصدف » تلعب دورهـا في تسويف هاملت ومماطلته، غير أن حاجته الى التصميم ، وتردده ، وتأملاته

ليست مما يروّح عن نفسه ، ولا هي بالضرورة دليل على عدم ايمانه بنفسه بالمعنى الذي يقصده شليغل. فهو قد يخشى أن الطيف الذي رآه ليس طيف أبيه ، بل هو صورة للشيطان الذي يروم الدفع به الى الهلاك ، لأنه يعلم علم اليقين أنه مصاب بكآبة عميقة تخلّ بالانسان ازاء الواقع، وهو لذلك يريد دليلاً على جرم عمه عن طريق التمثيلية فشك مثل هذا ليس عذراً عن عدم التنفيذ بقدر ما هو عرض من اعراض المحنة النفسية التي يعانيها : والاعراض كلها تدل على أمر في نفس هاملت هو غير الشك والتوجس . فالتأملات والحاجة الى التصميم ليست هي السبب المباشر في تأخير الانتقام ، بل هي بدورها نتيجة لسبب آخر يكمن وراءها .

إنها أعراض لحالة من القلق او اليأس ربما شذت عن الطبيعة السوية ، يعرف هاملت وجودها في نفسه . فإشاراته الى « الطبيعة » — وهي السويّ الذي أحسّ بأنه مهدد بفقدانه — تتكرر من اول المسرحية الى آخرها ، وهو يخشى شذوذه وخروجه على الطبيعة ، حتى في ما له شأن بوصية الطيف له . فينبه نفسه الى ذلك وهو في طريقه الى حجرة أمه بعد مشهد التمثيلية التي اراد بها فضح الملك :

لعمري بوسعي الآن
ان أشرب الدماء حارة ، وآتي من رهيب الفعل
ما يرتعد النهار لرؤيته !... على رسلك — الى أمي .
أيها القلب لا تتخلّ عن سويّ طبيعتك . اياك ان
تفسح لروح نيرون * طريقاً الى صدري الصامد هذا .

* قتل نيرون امه لانها سمّمت أباه .

فلأكن قاسياً ، لا شاذ الطبيعة ...

وتظاهره بالجنون محاولة ايجابية منه لدفع الجنون عن نفسه . لقد رأى هاملت من الدنيا ، بعـــد استجابة اللذة والدَّهَش والاعجاب ، شراً وفساداً لم يكن قد حددهما قبل ظهور الطيف لإعلامه بجريمة أمه وعمه ، ولكن حزنه على وفاة أبيه — وهو يحبه حباً عجيباً — عجل في بلورة احساسه بأن « الزمان مضطرب » وبأن في امور الدنيـــا « فساداً وعفناً » . فهو أول ما نراه ، فريسة الكآبة :

الملك : مالي أرى السحب ما زالت مخيمة عليك ؟

هاملت : لا يا سيدي، بل انني في الشمس اكثر مما ينبغي.

وعندما يلومـه الملك وأمه على حزنـه الذي لا ينتهي على موت أبيـه ، وقد مر عليـه شهران ، يعترف بأن في نفسه أموراً هي اعمق من الحزن المجرد :

لا عباءتي الحالكة وحدها يا اماه ،
ولا المألوف من ثياب السواد الحزين
ولا التنهدات العاصفة من ضيّق النَفَس
لا ، ولا النهر السخي من العين ...
... بكافية للدلالة على حقيقتي ...
... ان في نفسي ما يعجز عنه كل مظهر .

وحالما يُترك وحده نراه في أول مونولوغ له يقول :

آه يا ليت هذا الجسد الصلد يذوب
وينحلّ قطرات من ندى ،
يا ليت الازلي لم يضع شريعته
ضد قتل الذات . رباه ، رباه .

ما اشدّ ما تبدو لي عادات الدنيا هذه
مضنية ، عتيقة ، فاهية ، لا نفع منها ...

وما زواج أمه من عمه بعد شهر من موت أبيه ، الا مثل واحد ، مباشر ، على عادات الدنيا هـذه التي جعل يراهـا «كحديقة لم تُعشَّب ، شاخت وبزّرت ، لا يملؤها الا كل مخشوشن نتنت رائحته . » وما فعلته امه ليس بالحب ، انه الفحشاء :

الا ايتها العجلة الفاسقة ، ترفعين
بمثل هذه السرعة الاشرعة الزانية !

وحتى حبه لاوفيليا ـ هـذه الفتاة الرقيقة التي لا نذكرها الّا وكأنها زهرة من الزهور التي تنثرهـا وتموت وهي محلة بهـا ـ ينقلب في نظره الى « عـادة » اخرى ، لن يرى فيها الا فساد المرأة واقبالها على الفجور .

وبعد ان يحثه الطيف على الانتقام، ويغضب غضبته الجنونية، ويصمم على اخذ الثأر ، يختلط على هاملت امران اثنان: احساسه بضرورة الانتقام من عمه الفاسق السكير ، واحساسه بانقلاب كل ما في الحياة الى شر ومن سويّ الى شاذ . والاحساس الثاني قوي جارف فيه ، يغالب الاحساس الاول ، لانه ضرب من اليأس يحدو به الى الاعتقاد بعبث الحياة، وعبث كل ما اعتاد الناس فعله والتمسك به . ومأساة هاملت هي الصراع بين هذين الاحساسين: الصراع بين الخارج والداخـل ، بين الضرورة الاجتماعيـة والذات التي جعلت تحتقر المتواضَع الاجتماعي . ولذا فان محاولته تحديد العبث تطغى على محاولة الانتقام، وتشغله الاولى عن الثانية. لقد قال الطيف له عبارة لعلها كانت اشد ما يخشى سماعه من احد:

ان كانت الطبيعة سوية فيك ، انتفض !

وكان جوابه :

اجل من لوح ذاكرتي
سأمحو كل تدوين سخيف احمق ،
حكَم الكتب كلها ، كل شكل وكل انطباع مضى ،
مما نسخ الشباب هناك وسجلته الملاحظة ،
ولن يبقى في كتاب ذهني الا
امرك وحده دون غيره ،
لا تخالطه مادة رخيصة .

وهذا بالضبط ما لا يفعله ... فعندما نراه ثانية بعد مشهد الطيف ، وقد جعل من في البلاط يتقولون عن كآبته و «جنونه» ، نجده منهمكاً في نقاش ساخر مع بولونيوس ، ثم مع روزنكرانتز وغلدنسترن ، ويقول لهذين قولاً يكاد يعترف به رغماً عن ارادته فيكشف به عن دخيلته :

« لقد فقدت مؤخراً — ولست ادري ما السبب — مرحي كله ، واعرضت عن كل رياضة اعتدتُها . وفي ذلك ، يقيناً ، وقرٌ على مزاجي . فهذه الارض ، وهي هذا الهيكل البهي ، لا تبدو لعينيّ الا كمرتفع مجدب عقيم ، والهواء ، هذا السرادق البديع الحسن ، انظرا ، هذه القبة الجميلة المعقودة فوقنا ، هذا السقف الفخم المرصّع بنار من ذهب ، انه لا يبدو لعينيّ الا كحشد من أبخرة كريهة تنبعث منها الاوبئة . والانسان ما اروع صنعه ! ما انبله عقلاً ، وما اقصى حدود قدرته ومواهبه ! في الشكل والحركة ما ألبقه وما اروعه ! في العمل ما اشبهه بالملائكة ! في الادراك ما اشبهه بالآلهة ! انه زينة الدنيا ومثل

الحيوانات الاكمل ... ومع ذلك كله ، ما خلاصة التراب هذه ؟ لا اجد لذة في الانسان ، ولا في المرأة ايضاً ، وان تبتسما كأنكما تقولان ذلك . »

وما الذي يترتب على هذا اليأس ، سوى الاحساس (وهو احساس يكاد لا يعيه بوضوح) بعبث اي فعل مهما تكن غايته؟ ولكن « الطبيعة السوية » تستوجب الانتقام لمصرع ابيه فتفاجئه وهو يعـاني خواطر العبث فكرة الانتقام كلما رأى او سمع ما يذكره بضرورته . فحكاية هيكوبه وفريام التي ، في هـذا المشهد نفسه ، يرويها له الممثل في شعر ملتهب ، تثير كوامن ألمه وطبيعته السوية ، وتُسخِطُهُ على نفسه لهـذه المماطلة التي لا يستطيع فهمها، ويتهم نفسه بالخَوَر والجبن . فيردد تصميمه على الانتقام من جديد ــ إذا اثبتت التمثيلية التي يزمع اقامتها في القصر جرم عمه . ولكننا عندما نراه ثانيـة ، واوفيليا تنتظره في ركن من القاعة ، لا نجده يتحدث عن الانتقام . انه يتساءل ، في نجواه الشهيرة :

أأكون أم لا أكون ؟ ذلك هو السؤال .

انه يتساءل عن الانتحار . وهو لا يتساءل عنه ، لأنه يفكر في مقتل احد ، بل لان فيه هوَساً بقضية الحياة والموت . والتنفيذ الذي يذكره هنا ، ليس تنفيذ الانتقام ، بل الانتحار . غير انه يتساءل أليس الانتحار محاولة للتخلص من عبث الحياة المرير الى مجهول قد يكون العبث فيه امرّ ؟

وفي استمرار الحياة نفسها بالزواج والميلاد لا يرى الا هـذا العبث . فعندما يرى اوفيليـا تصلي ، تتحرك عواطفه ويكاد

يخاطبها غراماً ، ولكنه فجأة يصيح بها :

« اعفيفة انت ؟ »

فالجمال اقوى من العفة ، ويحوّل العفة عن مجراها . وكيف يستطيع ان يحبها ، والفضيلة ليست من طبع الانسان ؟ اذن فعليها بالترهب . « اذهبي الى دير وترهبي . لماذا تريدين ان تلدي الخطاة ؟ » كلنا ، مهما ادعينا الفضيلة ، تملأنا خواطر الشر والمعصية . « كلنا اوغاد وانذال . » وينتهي الى القول : «فلنمنع الزواج ! » وكأنه يريد القضاء على هذا التسلسل الجاني الشرير الذي يستمر باستمرار الحياة .

انه في علاقته باوفيليا ، لا يرى الا عبث علاقة ابيه بأمه : ابيه الذي كان يحب امه ، « فلا يسمح للريح بزيارة وجهها اذا اشتدت . » وما الذي تمّ من علاقة الحب تلك ؟ في مشهد من اروع واعمق ما في المسرحية ، مشهد هاملت في حجرة امه التي استدعته اليها لتزجره لما بدا منه في اثناء تمثيلية «مصرع غونزاغو» ، نرى هاملت وقد برزت على السطح فيه هذه الاحاسيس المتضاربة المصطرعة سافرة صارخة . فهو يقتل بولونيوس المختبىء وراء الستارة بضربة من سيفه ، ظاناً انه عمه الملك ، ولا يأبه لما فعل . وحين تهتف امه : « يا للفعلة الدموية الهوجاء ! » يجيبها قائلاً : « فعلة دموية تكاد يا اماه بسوئها توازي قتل ملك وزواجاً من اخيه . » وهي اذ تُصعق لذكر « قتل الملك » — لانها ولا ريب لم تكن على علم بهذه الجريمة — ينصرف هاملت عن فكرة القتل الى الفكرة التي افسدت عليه علاقته باوفيليا او بأية امرأة اخرى:

الملكة : ما الذي فعلتُه لتتجرأ باطلاق لسانك عليّ بهذا القول الوقح ؟

هاملت : فعلاً يفسد على الطهر الحشمة والحياء ، ويدعو الفضيلة نفاقاً ، ويأخذ الحب البريء لينزع الوردة من وضّاء جبينه ويزرع فيه دملة من الصديد ...

هذا ما يحز في قلبه : انه يودّ لو يؤمن بالفضيلة ، ولكنه ما عاد يستطيع ذلك ، ولا سيما ان كل ما في الامر هو ان يتعارف الناس على امر ما في الظاهر ، دون التمسك باللباب ، « فالعرف وحش يلتهم كل حساسية ... والعادة تكاد يكون بوسعها تبديل وَسْم الطبيعة . » فيصيح مغضبا :

يا جهنم المتمردة ،
إن تستطيعي ثورة في عظام امرأة نَصَف
فتؤججي فيها الشباب ، اجعلي منّ الفضيلة شمعاً
يصهر في نارها . ولا تنادي بالعار والثبور
اذا ما الشبق الاهوج اطلق الشرر ،
فهذا الجليد نفسه يحتدم اشتعالاً
وهذا العقل يقودّ للارادة !

ومرة اخرى ، وهو في هـذا الجموح ، يحدث ما يذكّره بضرورة الانتقام ، اذ يظهر له فجأة طيف ابيه ، فيدرك في الحال ان ثورته النفسية قد انسته الواجب المفروض عليه ، فيقول للطيف :

اما جئت تعنف ابنك المتواني الذي
راح يضيع الوقت وينشغل بالعواطف
عن اللج في تنفيذ امرك الرهيب ؟

وتتطور الاحداث بعد ذلك سراعاً ، وينفى الملك هاملت الى انكلترا لقتله هناك ، غير انه يهرب مع القراصنة ويعود الى

بلده . وتكون اوفيليا في اثناء ذلك قــد جُنت لمصرع ابيها وماتت غرقــاً . فيمرّ هاملت مع صديقه هوراشيو بالمقبرة ، حيث يرى حفار القبور يحفر قبراً ويلقي جانباً بالجماجم التي تضربها فأسه وهو يغني . وهنا نرى هاملت وهو يتأمل عبث الحياة من جديد . هـذه جمجمة كان فيها « يوماً لسان يستطيع الغناء . » وتلك جمجمة احد الساسة الدهاة ، وتلك كان صاحبها محامياً : «اين سفسطته الآن ، وتورياته، وقضاياه ، وعقوده، والاعيبه ؟» او لعل صاحبها من ذوي الاراضي الفسيحة : « أهـــذه قطيعة استقطاعاته وتحويلة تحويلاته ــ ان يمتلىء قحفه المحترم بتراب محترم ؟ » وهكذا الى ان يتناول بيديه جمجمة يقول له الحفار انها جمجمة يوريك مضحك الملك ابيه . هنـــا الباطل ، وباطل الاباطيل : « لهفي عليك يا يوريك ! كنت اعرفه يا هوراشيو ، رجلاً لا حد لنكتته ، ولا يضاهى في براعته . لقد حملني على ظهره الف مرة ومرة . اما الآن ، حين اتخيل ذلك ، فما ابغضه امراً لنفسي !... هنا كانت الشفتان اللتان قبلتهما لست ادري كم مرة . اين لواذعك الآن ؟ وقفزاتك الفَرِحة واغانيك ؟ ولمعات فكاهتك التي كان يستلقي لهـا الآكلون على ظهورهم من الضحك؟..» ويؤدي به هذا التأمل الى انالاسكندر نفسه آل الى مثل هذا ... » أفلا يجوز للخيال ان يتعقب اثر الاسكندر وترابه النبيل الى ان يلقاه « سداداً لِدَنّ » وما الذي آل اليه قيصر ؟ ــ

ليت التراب ذيّاك الذي ارهب الدنيا كلها
يلأم صدعاً في الجدار لدرء هبّات الشتاء !

غير انه فجأة يلمح جنازة آتيـة يتقدمها الملك والملكة ــ انها جنازة اوفيليا . وهذا اخوها لرتيس يقفز الى قبرها ليحتضنها مرة

أخيرة بين ذراعيــه . فتتلاشى فجأة خواطر العبث في صدر هاملت ويهب حبّه فجأة كبركان ينفجر ، ويقفز الى قبر اوفيليا صائحاً هادراً :

والله لاصارعنّه بهذا الشأن
حتى تعجز عن الرف مقلتاي !
... لقد احببت اوفيليا . اربعون الف أَخ
بمجموع حبهم لن يساووا
مقدار حبي انا .

انه يقف وجها لوجه ازاء الملك من جديد . وهو لا يعلم ان الملك قــد تآمر مع لرتيس على قتله . ولكن توتر الواقع يعود اليه . وتسير المأساة في خطها المحتوم .

٥

عندما كتب شكسبير مأساة « هاملت » حوالي عام ١٦٠١ ، كان في الظاهر يتبع تقليداً مسرحياً عرفه العصر الالزابيثي ، هو تقليد « مأساة الانتقام » . وقد كتبت مآسي كثيرة من هــذا الضرب قبل « هاملت » وبعدها . غير ان شكسبير ، بعبقريته ، أخذ موضوعاً تقليدياً (بل ان قصة هاملت نفسها كان احد كتاب الدرامة قد جعل منها مسرحية قبل ذلك ببضع سنوات) ، وجعل منه حجة لموضوع كبير لم يسبقه اليه أحد . وقد ظن الكثيرون ان « هاملت » انما هي مأساة انتقام اخرى ، فلماذا يتأخر بطلها هذا التأخر الشديد ، الى ان يتم انتقامه صدفة ودون خطة منه ؟ ان مأساة الانتقام تعتمد في الغالب على محاولة وصول البطل الى عدوه للقضاء عليه : فالحركة تسيرها محاولة التغلب على العوامل

الخارجية والملابسات ، الى ان يتحقق التغلب عليها نهائياً ، وان يكون في ذلك موت البطل نفسه . ولكن شكسبير سار في اتجاه معاكس لكل ذلك : فالعوامل الخارجية والملابسات من حيث تنفيذ الانتقام هي اقل ما في مأساته خطراً . بل ان الملك يكاد يكون تحت رحمة هاملت في معظم الاحيان ، رغم حرّسه الخاص . فهاملت هو محبوب الشعب ، وهو جندي مرموق بارع الضرب ، وهو على كل حال ابن الملك السابق ولن يتقاعس الشعب الذي يحبه عن نصرته اذا طالب بالعرش . وفي احدى المرات ، يرى عمه راكعاً يصلي وحده ، فيستل سيفه ، ويقول :

بامكاني الآن ان افعلها ، كذا ، وهو يصلي ،
وسأفعلها الآن —

لكنه لا يفعلها ، لانه يرفض قتله وهو يصلّي ويستغفر ربه . ثم يتساءل فيما بعد : « لماذا اراني بعد حياً لأقول . هذا الامر يجب فعله ، ولديّ لفعله الحافز ، والارادة ، والقوة ، والوسيلة ؟ »

ان شكسبير اذ يؤخر ساعة الانتقام ، ويضع هاملت في القلب من معضلة العبث ، يبتعد عما كان معاصروه المسرحيون منهمكين فيه ، اذ يملأون مآسيهم بالنار والدم . فالذي يشغله هنا هو امر اكبر من فكرة القتل ، كأنه يريد ان يقول ان المسألة ليست مسألة « حافز وارادة وقوة ووسيلة » فحسب ، وان الفعل الخطر — وهل اخطر من قتل ملك تدين له الملايين بالولاء ، رغم توصله الى العرش إثماً وعدوانا — لا بد لكي يبقى على خطورته ان يثير في صاحبه كل الخواطر التي تتعلق بموقفه من الانسان والحضارة . وهذا ما يفعله شكسبير ، وبفعله هذا ، يخلق شخصية معقدة تطغى على القصة من كل جانب وتشحن الجو بخواطر قلقة

حول الانسان ومصيره . انه يمثل في هاملت رجل « النهضة » الذي بتعدد النواحي في شخصيته ما زال مثلاً من مُثُل الحضارة الاوربية . لقد اراد وضع عبقري ــ تتمثل فيه ولا ريب نزعات شكسبير وآراؤه عند منعطف خطير من حياته ــ بعيد الفكر ، لاذع النكتة ، واعٍ مأساة الحياة على نطاقها الاوسع بما فيها من تناقض بين العبث وضرورة الفعل ، في البؤرة من ظروف آنية عاتية تعج بالطمع والطموح والفساد والتآمر والتلصص (كما نشاهدُ في بولونيوس وتجسسه على ابنه ، وعلى اوفيليا ، ثم على هاملت نفسه ، وكذلك في روزنكرانتز وغلدنسترن) ، ليرى كيف يكون رد الفعل لديه . وكان من المحتّم الا يكون رد الفعل هذا مجرد فعل عكسي ، بل فعل يتصل بالفكر والنفس ، والاحساس بمصير الحياة .

وعبقرية هاملت واضحة في كل ما يقول ، حتى في ساعات تظاهره بالجنون . وهي ليست عبقرية الحالم البعيد عن الواقع ، لان استجابته للاحداث ابعد ما تكون عن استجابة الحالم ، ومن ادراكه العميق تنشأ قدرته على الفكاهة الجارحة التي يصيب بها الحقيقة على وجه غير متوقع كلما اشترك في مناقشة او حوار . ومقدرته اللفظية ، وعنايته بالمعنى الغريب المستخرج من التأملات التي لا تخطر ببال محدثيه ، وطاقته حتى على بزّ ذوي الهذر ــ كما نرى في حواره مع اوسرك في المشهد الاخير من المسرحية ــ كلها دليل على ذكاء حاد لا يستقر نشاطه . ولئن يصفه الملك بأنه « لا اباليّ ، كريم الطبع ، لا تعرف نفسه الخديعة » فان ذلك بعض من عصبه الخلقي المتين . فهو رغم العبث الذي يراه في كل ما حوله ، لا يتخلى عن نبل في الخلق

يثير فينا الحب والاعجاب ، ورغم الكآبة التي تلازمه ، يستطيع الفرح بكل ما هو خير وجميل ، ويتسع قلبـه لحب لا ينتهي . أين نرى في مسرحيات شكسبير حباً كحب هاملت لابيـه ؟ تذوب الألفاظ أنغاماً كلما تحدث عنه (كما يقول اي . سي . برادلي) ، وحتى أمه ، رغم كل ما حدث ، تحسّ بحبه يتخلل سيل الفاظه المغضبة الاليمـة . وللريتس يقول : « كنت دوماً أحبك » ويصفه بالنبل ، وهو الذي يريد قتله . وحبه لاوفيليا لا يساويه حب اربعين الف اخ لاختهم . وهل هناك ما هو أنبل من صداقة هاملت لهوراشيو :

لا ، لا تظنني اتملقك .
وهل أطمع في ترقية منك ، انت الذي
لا مال لديك ، سوى حسن الطوية ،
لطعامك وكسائك ؟ وهل من يبغي تملق الفقير ؟
لا ، انما دع اللسان المحلّى يلحس فوارغ الابهة
حيثما الكسب يلحق بالنفاق . أتسمع ؟
منذ ان أضحت نفسي الأبية سيدة في خيارها ،
عليمة بالتميز بين الرجال ، اصطفتك انت لها .

وهاملت لا يرضى بأمر ما لمجرد اتفاق الناس عليـه ، وحتى الحقائق القديمة يجب ان يكتشفها لنفسه من جديـد . فاذا كان هوراشيو مقتنعاً ـ دون تسآل ـ بأن « ثمة ألوهة تصوغ لنـا غاياتنا ، مهما عشونا نحن في نحتها » ، فان على هاملت ان يكتشف ذلك بنفسه ، في ما جرى له في المركب . فالحقـائق يجب ان يستخلصها من واقعـه بالفكر ، على ان يعترف بأن الفكر لا يستطيع التهرب من الواقع ، فيقول : « اني والله لأستطيع

ان احصر في قشرة جوزة واعد نفسي ملك الرحاب التي لا تعد ــ لولا انني أرى احلاماً مزعجة . » والى هــذا وذاك ، لديه ثقة لا تتزعزع ، وعلم بامتلاء نفسه بالغوامض التي لن يستطيع استخراجها القاصرون عنه . وقد وضح ذلك شكسبير بمثــل موسيقي ــ وشكسبير ، كما نعلم من دراسة مسرحياته ، يعشق الموسيقى ويرمز بها الى الكثير مما يحب ــ في مشهد ما بعد التمثيلية، حين يأتيه غلدنسترن يسأله عما به، لأنه قد اغضب الملك والملكة. فيأتي هاملت بمزمار ، ويطلب اليه ان يعزف به، فيقول غلدنسترن انه لا يستطيع العزف :

هاملت : اني أتوسل اليك .

غلدنسترن : لا اعرف كيف يمسك ، يا مولاي .

هاملت : سهل عزفه كالكذب . تحكم بهذه الفتحات باصبعك وابهامك ، انفخ فيه بفمك ، تجده ينطق بأفصح الموسيقى . انظر ، هذه مفاتيح النغم .

غلدنسترن : لكنني لا استطيع ان استنطقها ، لانني لا اعرف هذا الفن .

هاملت : أترى اذن كيف تهدر انت الآن كرامتي ؟ انك تريد التظاهر بأنك تعرف مفاتيحي . انك تريد اقتلاع القلب من غوامضي . انك تريد استخراج مكنوني من اخفض نغمة فيّ الى القمة من مداي . وفي هذه الآلة الصغيرة الكثير من الموسيقى والصوت الشجي، ومع ذلك لا تستطيع استنطاقها . لم تحسب ان العزف عليّ اسهل من العزف على هذا الناي ؟...

هــذا هو اذن هاملت الغامض المعقد المكنون ، العديــد

النواحي ، المدرك العبث ، يجابَهُ ذات ليلة بأن امه قد فحشت مع عمه ، وان عمه قد سمم أباهُ وتزوج امه واغتصب العرش ، وان عليه ان ينتقم . فكان على من يحاول تحديد مأساة الحياة الاشتراك فجأة في تنفيذ المأساة .

وهو اذ يدنو من قضائه المحتوم يكشف لنا رويداً رويداً عن اتساع زاخر في النفس ومغلقات من الحياة تحيط بنا . واذا ما شارف النهاية ، تفجّر في قلوبنا فيض الحبّ دمعاً لهذا الذي يبدو كأنما راحَ فداء لنا ، وكأنه قد احبنا كما احب اوفيليا وكما أحبّ صديقه هوراشيو ، ويبدو اذ يخاطب هوراشيو كأنما الانسان المعذب هو الذي يخاطبنا :

إن كنت احتويتني في قلبك يوماً
غيّب النفس عن هناءتها رَدَحا ،
وفي عالم الجور هذا استل انفاسك ألماً
لتروي قصتي ...

جبرا ابراهيم جبرا
٢ كانون الثاني ١٩٦٠

ملاحظة عن تمثيل «هاملت» على المسرح

اذا استثنينا « انطوني وكليوبطرة » ، فان « هاملت » أطول مسرحية كتبها شكسبير . وقد ادهش النقادَ ان شكسبير جعلها على هـذا الطول ، وهو الذي كان يشترك في التمثيل والاخراج ويعرف كل شيء عنها . فقد وصف شكسبير المسرحية بقوله انها «مسيرة ساعتين على المسرح» ، وتمثيل « هاملت « كما هي يتعدى ذلك بكثير . غير انه لم يكن ممن يحفلون بالقواعد الموضوعة اذا أراد شيئاً ، وقد اراد حشد امور كثيرة في هذه المأساة ، ووضع فيها خلاصة لكل ما يتمناه كتّاب الدرامة من أساليب . ففيها تمثيلية ضمن تمثيلية ، وفيها شعر ونثر ، وفيها حزن وفيها ضحك ، وفيها غناء ، وفيها سخرية من أساليب الآخرين ، وفيها جنون وفيها ادعاء بالجنون ، وفيها طيف رهيب وجماجم وانتقام تنتثر فيه الجثث ذات اليمين وذات الشمال : وفيها الى ذاك كله سحر لفظي وفكر عميق وتأمل بالحياة .

غير ان المخرجين ، لكي تحافظ المسرحية على ايقاع معقول السرعة فلا تتراخى اجزاؤها ، قد دأبوا على حذف مقاطع منها في أماكن كثيرة حيثما لا يؤثر ذلك في السياق ، فتختصر بعض

مقاطع الحوار الطويلة التي فيها استطراد واضح ، ويحذف مشهد فرتنبراس وجيشه برمته (المشهد الرابع من الفصل الرابع) ، ويحذف أكثر الحوار بين ممثلي الملك والملكة في تمثيلية « مصرع غونزاغو » ، وهكذا .

لا بد للمخرج العربي ، اذا اراد اخراج هـــذه الترجمة ، ان يُعنى بهذه الناحية . كما ان عليــه ان يعنى بأمر قلما يلتفت اليه المخرجون العرب في ما رأيته من مسرحيات ، وهو الايقـــاع . فللمسرحية ايقاع اشبه بايقاع القطعة الموسيقية ، وعلى المخرج ان يتأكد من سرعة هذا الايقاع ، فلا يسمح للمسرحية بالترّهل والامتداد الى ما لا نهاية . فالمشَاهِد ــ ولا سيما في شكسبير حيث تكثر دائماً ــ يجب ان تتلاحَق دون فترات (وهذا بالطبع يعود الى براعة المخرج في تسخير امكانيات المسرح لهذه الغاية) ، كما انه ليس من الضروري قطع التمثيل عند نهاية كل فصل . إن نهايات الفصول كما هي مطبوعة قد تكون لها قيمة تتعلق بالنص والشكل ، ولكن التمثيل قد لا يرتبط بهذا التقسيم . ثم ان تمثيل الحوار يجب ان يحافظ على ايقاع معين يتفاوت سرعة وبطئـــاً ، ويتجنب الرتابة ــ ولا سيما الرتابة البطيئة الرخوة . من المهم ان نشعر بـــأن الحركة منطلقة نحو غايتها ــ وهي منطلقة بشكل تصاعدي يزداد توتراً باستمرار الانطلاق . وليس معنى ذلك ان يكون الايقاع كله سريعاً . فكما في الموسيقى ، لا بد من فترات من السكون والبطء للتوكيد على فترات السرعة . ومثـــل هذه الفترات في مسرحيات شكسبير موزع بمهارة . ولكن أمر هذا كله منوط ببراعة المخرج ، وحساسيته لهذا الفن .

ج. ا. ج.

اشخاص المسرحية

كلوديوس (Claudius)	ملك الدانمرك
هاملت (Hamlet)	ابن الملك السابق، وابن اخي الملك الحالي
بولونيوس (Polonius)	رئيس الوزراء
هوراشيو (Horatio)	صديق لهاملت
لرتيس (Laertes)	ابن بولونيوس
فولتماند (Voltimand)	من رجال البلاط
كورنيليوس (Cornelius)	من رجال البلاط
روزنكرانتز (Rosencrantz)	من رجال البلاط
غلدنسترن (Guildenstern)	من رجال البلاط
اوسرك (Osric)	من رجال البلاط
نبيـــل	من رجال البلاط
مَرْسِلُس (Marcellus)	ضابط
برنردو (Bernardo)	ضابط
فرنسيسكو (Francisco)	جندي
رينالدو (Reynaldo)	خادم لبولونيوس
فرتنبراس (Fortinbras)	امير النروج
غرترود (Gertrude)	ملكة الدانمرك ، وأم هاملت
اوفيليا (Ophelia)	ابنة بولونيوس

كاهن ، ممثلون ، مهرّجان (حفارا قبور) ، ربان مركب ، سفراء انكليز ، نبلاء ، سيدات ، ضباط ، جنود ، بحـــارة ، رسل ، خدم وحشم .

طيف أبي هاملت

المشهد : الدانمرك

الفصل الأول

المشهد الأول

قلعة ألسينور . في أحد الابراج . ظلام .
فرنسسكو في مكان الخفارة ، يدخل عليه برنردو .

برنردو : من هناك ؟
فرنسسكو : بل أنت أجبْ ! قف واكشف عن نفسك .
برنردو : عاش الملك !
فرنسسكو : برنردو ؟
برنردو : أجل أنا .
فرنسسكو : جئت في موعدك بكل دقة .
برنردو : دقت الثانية عشرة،فاذهب الى فراشك يا فرنسسكو .
فرنسسكو : شكراً لمجيئك بديلاً لي . البرد قارس وفي صدري ضيـــق .
برنردو : هل كانت خفارتك هادئة ؟
فرنسسكو : ولا فأر يتحرك .
برنردو : اذن طاب مساؤك . اذالقيت هوراشيو ومرسلس ، وهما رفيقاي في الخفارة ، مرْهما بالاسراع .

(يدخل هوراشيو ومرسلس)

فرنسسكو : أظن انني اسمعها . قف ، هو ! من هناك ؟
هوراشيو : صديقان لهذه الأرض .
مرسلس : وموالیان للملك الدانمرك .
فرنسسكو : ليلة سعيدة .
مرسلس : آ ، وداعاً ايها الجند الكرام . من بديلكم ؟
فرنسسكو : برنردو له مكاني . ليلة سيدة . [يخرج] .
مرسلس : هَلُوْ برنردو .
برنردو : قل لي ، اهوراشيو هناك ؟
هوراشيو : قطعة منه .
برنردو : مرحباً بهوراشيو ، مرحباً بمرسلس الكريم .
مرسلس : قل لي ، هل ظهر ذلك الشيء مرة أخرى الليلة ؟
برنردو : لم أر شيئاً .
مرسلس : يقول هوراشيو ، إنه وهمٌ منا ليس إلا ،
ولن يدع التصديق يسيطر عليه
بصدد هذه الرؤية المخيفة ، التي رأيناها مرتين .
ولذا رجوته المجيء معنا
للخفارة طيلة دقائق هذه الليلة ،
فاذا جاء هذا الطيف ثانية
دعم ما رأته عيوننا وتكلم معه .
هوراشيو : لا ، لا . إنه لن يظهر .
برنردو : إجلس قليلاً
ولنهاجم مرة اخرى اذنك
التي حصّنت نفسها ازاء روايتنا ،
بما رأيناه ليلتين متعاقبتين .

هوراشيو : فلنجلس اذن ،
وليحدثنا عنه برنردو .
برنردو : في الليلة الأخيرة
عندما دار ذلك النجم الذي ترونه غربي القطب
لينير تلك الرقعة من السماء
حيث هو الآن يشتعل ، كنا ، مرسلس وأنا ،
والجرس يدق الواحدة ـــ
مرسلس : صمتاً ! لا تتكلم :
(يدخل الطيف)
انظر من أين يجيء ثانية .
برنردو : في ذلك الشكل بعينه ، كالملك الذي تُوُفيّ .
مرسلس : أنت فقيه يا هوراشيو . خاطبه .
برنردو : ألا يشبه الملك ؟ دقق النظر فيه يا هوراشيو .
هوراشيو : أشدّ الشبه . انه يرعدني خوفاً ودهشة .
برنردو : يريد من يخاطبه .
مرسلس : اسأله يا هوراشيو .
هوراشيو : ما أنت يا من اغتصبت هذا الهزيع من الليل
وذلك الشكل العسكري الجميل الذي
كان جلالة الدانمركي الراحل
يمشي به بين الناس ؟ أحلّفك بالسماء ان تتكلم .
مرسلس : لقد استاء .
برنردو : انظر ، إنه يبتعد بإباء .
هوراشيو : قف ، تكلم ، ! تكلم ! استحلفك ان تتكلم !
(يخرج الطيف)

مرسلس : ذهب ولن يجيب .

برنردو : وكيف الآن يا هوراشيو؟ أراك ترتعد، وقد شحبت.
أليس ذا شيئاً أكثر من الوهم ؟
ما رأيك فيه ؟

هوراشيو : والله ما كنت لأصدقه
لولا شهادة صادقة محسوسة
من عينيّ أنا .

مرسلس : ألا يشبه الملك ؟

هوراشيو : كما تشبه أنت نفسك .
حتى الدرع كان كذلك الدرع الذي لبسه
عندما نازل ملك النرويج الطامع ،
وهكذا عبس مرة ، في اثناء مداولة غضبى ،
اذ هوى على رأس بولوني في مزلقته على الثلج .
غريب !

مرسلس : مرتين في اثناء الخفارة سابقاً
ثم في هذه الساعة بالضبط، جاءنا في خيلائه العسكرية.

هوراشيو : لست أدري في أيّ من خواطري أفكر .
ولكن جملة ما أرتأيه هو
أن في هذا ما ينبىء بانفجار غريب في دولتنا .

مرسلس : أرجوك ان تقعد الآن ، وليخبرني من يعلم
لمَ هذه الحراسة الدقيقة الشديدة
يكدّ بها كل ليلةٍ ساكن هذا البلد ،
ولمَ تُصبُّ كلّ يوم هذه المدافع النحاسية
وتُشترى من الخارج معدات الحرب ،

ولم هذه اللجاجة من بناة السفن الذين لم يعدْ
جهدُ عملهم المضني يميز بين الأحد وسائر ايام الاسبوع،
وما الذي نحن مقبلون عليه حتى جعلت
هذه العجلة الناضحة عرقاً، من الليل والنهار، عاملين
مشتركين ؟
من ذا الذي يستطيع ان يخبرني ؟

هوراشيو : أنا استطيع .
على الأقل هذا ما تتهامس به الألسن :
إن ملكنا السابق ، الذي بدا لنا خياله منذ لحظة ،
كان فرتنبراس ملك النرويج ،
كما تعلمان ، قد تحداه للقتال
تدفعه الى ذلك كبرياء ومنافسة شديدة
وفي ذلك القتال فان هاملت ، اميرنا الشجاع —
ومن أجل ذلك احترمه هذا الجزء من عالمنا المعروف —
صرع فرتنبراس ، فخسر فرتنبراس مع حياته
كل ما يملك من أراض اخذها الظافر
بموجب اتفاق مختوم ، يؤيده الشرع
وتدعمه أصول الفروسية .
وإزاءها كان مليكنا قد تعهد
بقطعة أرض كافية تعود الى فرتنبراس
لو كان هو المظفر ، كما وقعت ارضه لهاملت
بموجب الاتفاق نفسه والمقصود من المواد الموضوعة .
والآن يا سيدي ، قام خلفه فرتنبراس الشاب ،
ذو المعدن الفظ ، الاهوج ، المنتفخ النفس ،

فجمع حوله من هنا وهناك في اطراف النرويج
نفراً من الأشقياء المعدَمين ،
من أجل القوت والغذاء ،
في مجازفة شديدة الإغراء ، غرضها
ـ كما يبدو لدولتنا بوضوح ـ
ان يسترجع منا الاراضي المذكورة
التي فقدها ابوه ، بيد قوية
وشروط إجبارية . هذا فيما أرى
هو الدافع الأكبر الى استعداداتنا ،
ومصدر خفارتنا هذه ، ومنبع هذه العجلة الشديدة
وتفريغ أحشاء البلاد .

برنردو : أعتقد ان هذا هو الدافع دون سواه .
فأرجو ان يكون فألاً طيباً مجيء هذا الطيف
المليء بالمعاني ، في اثناء خفارتنا ، في شبهه القوي
للملك الذي كان ولا يزال السبب في هذه الحروب .

هوراشيو : إنه لقذى لمضايقة عين البصيرة .
ففي أوج مجد روما وعنفوانها
قبيل سقوط ذلك الجبار يوليوس قيصر ؛
فرغت القبور ممن فيها ، وراح الاموات المكفّنون
يوصوصون ويثرثرون في شوارع روما .
وكما جرّت الكواكب ذيولاً من النار وطلاًّ من الدماء
كذلك حلت الكوارث في الشمس . وذلك الكوكب
الرطب
الذي تعتمد دولة نبتون على قوته
مرض ، حتى يوم القيامة تقريباً ، بالخسوف .

وها هي ذي الأرض والسماء معاً تبديان
لبلادنا ومواطنينا
دلائل كتلك ، تشير الى أحداث عنيفة ــ
كأنها رسل تسبق الاقدار دوماً
وفاتحة لما سيتلوها من دلائل .

(يدخل الطيف ثانية)

ولكن صمتاً . انظرا ، انه يجيء ثانية .
سأجابهه ولو حطمني . قف أيها الخيال !

(ينشر الطيف ذراعيه)

إن كان لك صوت أو نطق تفوه به
تكلم معي .
ان تكن هناك مكرمة اصنعها
فتجلب الراحة لك ، والخير لي ،
تكلم معي .
ان كنت مطّلعاً على ما خبأه القدر لموطنك
فنستطيع اذا عرفناه مسبقاً تحاشيه ،
تكلم !
او ان كنت أيام حياتك قد خزنت
في جوف الأرض مالاً اغتصبته حراماً ،
ومن أجل ذلك ، يقولون ، انكم معشر الأرواح
تطوفون بعد الموت .

(يصيح الديك)

اخبرني عنه . قف ، تكلم ! اوقفه ، يا مرسلس !

مرسلس : أأضربه برمحي ؟

هوراشيو : أجل ، إن لم يقف .

برنردو : ها هو هنا .

هوراشيو : ها هو هنا .

(يخرج الطيف)

مرسلس : لقد خرج .

اننا لنسيء اليه ، اذ نقابله بالعنف

وهو على ذلك الجلال .

فهو كالهواء لا يُطعن ،

وكل ضربة منا باطلة انما هي هزءٌ خبيث .

برنردو : كان على وشك الكلام ، واذا بالديك يصيح .

هوراشيو : فأجفل عندئذٍ كمجرم

جاءه استدعاء مخيف . لقد سمعت

ان الديك ، وهو نفير الصباح ،

يوقظ بما في حنجرته من صياح شاهق حاد

إله النهار . وبانذاره ذلك

تسرع الروح الآثمة الهائمة الى سجنها

في البحر كانت ام في البر ، في النار ام في الهواء ،

وقد اثبت صدق ذلك ما حدث الآن .

مرسلس : لقد تلاشى مع صياح الديك .

يزعم بعضهم انه عندما يحين موسم عيد ميلاد المسيح،

يغني طير الفجر الليل بطوله ،

وعند ذلك يزعمون ان لا روح تقوى على التطواف،

فتمسي الليالي نقية ، ولا تسقط الشهب ،

ولا يؤذي الجن احداً ، وتعجز كل ساحرة

عن سحرها .

تلك فترة مقدّسة ملؤها الخير .

هوراشيو : هذا ما سمعته انا ايضاً ، واني لأصدق بعضه .
ولكن انظر ، ها هو الصباح وقـد ارتـدى
وردي ّ الثياب
يخطو على ندى تلك الرابية الناهدة في الشرق .
فلنترك الخفارة ، ونصيحتي هي ان
نُعلم هاملت الشاب بما رأيناه هذه الليلة .
قسماً بحياتي ، ان هذه الروح التي
تصمت لنا ستنطق له .
أفتوافقان على إعلامه بجليَّة الأمر
كما يقتضي حبنا له وواجبنا نحوه ؟
مرسلس : لنفعل ذلك رجاءً ، وانا اعلم
اين نلقاه هذا الصباح دون مشقة . (يخرجون)

المشهد الثـــاني

في إحدى قاعات القلعة . نفير ابواق . يدخل كلوديوس ملك الدانمرك ، وغرترود الملكة ، وهاملت ، وبولونيوس ، وابنه لرتيس ، وعدد من افراد الحاشيـــة .

الملـــك : لئن تكن ذكرى موت اخينا الحبيب هاملت
بعدُ خضراءَ ندية ، ولئن يكن خليقاً بنا
أن نحمل قلوبنا وملؤها الأسى ، ونجعل
من مملكتنا جبيناً واحداً يتقطّب حزناً ،
فإن التبصُّر ما زال يصارع الطبيعة
فنذكر اخانا بأرشد الحزن ،
ونذكر كذلك انفسنا معه .

وإذنْ فهذه التي كانت زوجةً لأخينا
والتي هي الآن ملكتنا وشريكتُنا الآمرة في هذه
الدولة الحربية ،
قد اتخذناها فيما يشبه الفرح المغلوب على امره
زوجةً لنا ، بعينٍ مستبشرةٍ واخرى دامعة ،
مرحين في الجنازة ، نادبين في العرس ،
وازنين الغبطةَ والشَجَنَ في كفتين متساويتين .
ولم نصدّ في ذلك عنا آراءكم السديدة التي رافقتنا
خلال هذه المهمة ، مع شكرنا الجزيل .
أما بعد ، فانكم تعلمون ان فرتنبراس الشاب
وقد افترض فينا الضعف في الشأن ، او ظنّ ان
دولتنا بوفاة اخينا العزيز الراحل
قد تصدعت واختلّ كيانها ،
تحالف مع حلمه بالغلَبة
فلم يتوانَ في ازعاجنا برسائل
فحواها ان نسلم له الاراضي
التي خسرها والده حسب الأصول والشرائع
لأخينا الباسل . هذا بخصوصه .
(يدخل فولتماند وكورنيليوس)
اما بخصوصنا وخصوص اجتماعنا هذا
هاكم الأمر : كتبنا
الى ملك النروج ، عمّ فورتنبراس الشاب ،
وهو خائر ، طريح الفراش ، يكاد لا يعرف شيئاً
عن عزم ابن اخيه ، طالبين اليه ان يمنع

خطوة نحونا بعد اليوم . والجند والقوائم
والتفاصيل من اجل ذلك ستجمع كلها
من رعاياه هو . وها نحن نرسلكما ،
يا كورنيليوس وفولتماند ،
لتحملا تحياتنا هذه الى الشيخ ملك النروج
ولا نعطيكما من الصلاحية الشخصية
في مفاوضة الملك اكثر مما تنص عليه
هذه التعليمات المفصلة هنا .
وداعاً ، ولتكن السرعة امتداحاً لواجبكما .

فولتماند : سنقوم بالواجب في كل ما تأمرون .

الملك : لا نشك في ذلك مطلقاً . الوداع .

(يخرج فولتماند وكورنيليوس)

والآن يا لرتيس ، ما خبرك ؟
قلت لنا لديك التماس . فما هو يا لرتيس ؟
اذا خاطبت ملك الدانمرك بالعقل
فلن يضيع خطابك سدى. ما الذي ترجوه، يا لرتيس،
ولا يكون تقدمةً مني ، لا ضراعةً منك ؟
فليس الرأس اقرب صلةً بالقلب
ولا اليد أكثر خدمة للفم
من عرش الدانمرك لابيك .
ما الذي تتمناه يا لرتيس ؟

لرتيس : إنني يا سيدي ألتمس
إذنكم بالموافقة على رجوعي الى فرنسا .
لقد اتيت منها طائعاً الى الدانمرك

لأظهر ولائي في تتويجكم
غير اني اعترف الآن ، وقد انتهى واجبي ،
بأن افكاري ورغباتي تتجه صوب فرنسا من جديد،
وهي صاغرة لأذنكم الكريم وعفوكم .

الملـك : هل استأذنت اباك ؟ ماذا يقول بولونيوس .

بولونيوس : لقد اعتصر مني إذناً بطيئاً يا سيدي
بالرجاء والإلحاح ، واخيراً
وهبته موافقتي ولو على مضض .
اتوسل اليكم ان تأذنوا بذهابه .

الملـك : اخترْ لمغادرتك ساعة إقبال . ان وقتك لك
فانفقه كيفما تشاء .
والآن ، يا هاملت ، يا ابن اخي وابني ؟

هاملت (جانباً) : اقرب من القربى وابعد من الخلَف .

الملـك : مالي أرى السحب ما زالت مخيمة عليك ؟

هاملت : لا يا سيدي ، بل اني في الشمس اكثر مما ينبغي .

الملكة : ألقِ عنك يا هاملت بلونك الليلي هذا ،
ولتنظرْ عينك نظرةَ صديق الى ملك الدانمرك .
افتبقى الى الابد بجفنين خفيضين
تبحث عن ابيك النبيل في التراب ؟
انت تعلم انه أمر عادي : ما من حي إلا ويموت يوماً
عابراً خلال الطبيعة هذه في اتجاه الابدية .

هاملت : اجل يا سيدتي ، انه لأمر عادي .

الملكة : اذا كان عادياً، فلِمَ يبدو لي كأنه أمر خاص لديك؟

هاملت : يبدو لك يا سيدتي ؟ انه ولا ريب أمر خاص .

لا عباءتي الحالكة وحدها يا اماه ،
ولا المألوف من ثياب السواد الحزين
ولا التنهدات العاصفة من ضيق النَفَس
لا ، ولا النهر السخي من العين
ولا غضون الغمّ في المحيّا
بكل ما للحزن من اشكال وحالات ومظاهر ،
بكافية للدلالة على حقيقتي . هذه كلها انما تبـــدو ولا ريب ،
لانها افعال بوسع المرء تمثيلها :
غير ان في نفسي ما يعجز عنه كل مظهر :
وما هذه الا سرابيل الأسى وزينته .

الملـــك : جميل من طبعك وحميد يا هاملت
ان تقوم بشعائر الحداد هذه من اجل ابيك .
ولكن عليك ان تعلم ان اباك فقد أباً له ،
وذلك الأب الفقيد فقد اباه ، فكان على خلفه
بما ترتب عليه من واجب بنويّ
ان يحزن حداداً عليه لفترة ما . بيد ان المثابرة
على عزاء لا ينثني ، عناد شرير .
انه حزن لا يليق بالرجال ،
يدل على ارادة تمردت على السماء
وقلب غير حصين ونفس اعوزها الصبر
وادراك بسيط لم يثقف .
فحين نعلم ان امراً ما كان مقضياً ،
وانه شائع شيوع اي شيء عادي نعرفه ،

لمَ نحزن ونصر على مقاومته فنجعله
يحزّ في القلب ؟ استحِ يا هذا ، انه لأثم تجاه السماء ،
إثم تجاه الموتى ، إثم تجاه الطبيعة ،
والعقل يسخفه حين يكون موضوعه العادي
موت الآباء ، وهو منذ البدء يصيح —
منـــذ اول جسد فارقته الحياة حتى هـــذا الذي
مات اليوم :
« لا بد من هذا » . نرجوك اذن ان تلقي عنك ارضاً
بهذا الحزن الذي ليس يجدي واعتبرنا
اباً لك . واني لاصرّح على الملأ
بأنك خلَفي على العرش ؛
ولأحنونّ عليك بحب نبيل
لا يقل عما يكنُّه الاب لابنه العزيز .
اما مشيئتك في العودة الى الدراسة في وتنبرغ
فانها لا تتفق مع رغبتنا .
ولذا نتوسل اليك ان تعتزم البقاء هنا
في رغد وتحت رعايتنا ،
اولَ الرجال في حاشيتنا ، ابنَ اخينا وابناً لنا .

الملكة : لا تضيع على امك توسلاتها يا هاملت .
ارجوك ان تظل بيننا . لا تذهب الى وتنبرغ .

هاملت : سأطيعك يا سيدتي ما استطعت

الملـــك : ذلك جواب جميل طيّه الحب .
كن مثلنا في الدانمرك . تعالي ، يا سيدتي ،
هذا الوفاق اللطيف المطواع من هاملت

يحلّ باسماً في قلبي . ولذا
فإن ملك الدانمرك لن يشرب اليوم نخبه مرحاً إلا
والمدافع الكبرى تردد للغيوم خبره ،
واذا ما عبّ الملك ، قصفت السماء ثانية
مرجّعة ما يحكيه رعد الأرض . فلنذهب .
(نفير ابواق . يخرج الجميع إلا هاملت)

هاملت : آه ليت هذا الجسد الصلد يذوب
وينحل قطرات من ندى ،
يا ليت الازلي لم يضع شريعته
ضد قتل الذات . رباه ، رباه .
ما أشد ما تبدو لي عادات الدنيا هذه
مضنية ، عتيقة ، فاهية ، لا نفع منها .
الا تبّاً لها ! تبّاً تباً لها ! انها الحديقة لم تُعشّب ،
شاخت وبزّرت ، لا يملؤها الا
كل مخشوشنٍ نتنت رائحته .
أهكذا تنتهي الامور — لم يمر على موته شهران —
بل أقل من شهرين ؛ أقل من شهرين ،
ملك رائع ، اذا قيس بهذا
فكهايبيريون ازاء الستير * ، كان يعشق امي
فلا يسمح لريح السماء
بزيارة وجهها اذا اشتدت . يا أرض ، يا سماء !
أمحتومٌ عليّ ان اتذكر ؟ واها كانت تتعلق به

* تعريب للفظة Satyr ، كائن اسطوري له ساقا التيس ونصفه الأعلى انسان، شديد المجون والشبق . أما هايبيريون فهو إله الشمس .

كأنما ازدياد الشهية قد اشتدّ بما تغذت عليه ـ
ومع ذلك ، فلمدة شهر !..
يجب ان اصرف فكري عنه . ايها الضعف ، اسمك المرأة !
شهر مضى ؛ ولم يعتق بعدُ ذلك الحذاء
الذي مشت به وراء جثمان أبي
وكلها دمع ، مثل نايوبي * . وهي حتى هي التي ـ
رباه ! ان وحشاً يعوزه العقل ليحدُّ مدةً أطول ـ
تزوجت عمي ، أَخا أبي : وان لم يشبه أَبي
الا بقدر ما اشبه انا هرقل : شهر واحد ،
لم يكفّ فيه ملح دمعها الأثيم بعدُ
عن تحمير عينيها المعذبتين ، وتزوجت .
ألا أيتها العجلة الفاسقة ، ترفعين
بمثل هذه السرعة ، الاشرعة الزانية !
لا خير فيها ولن تنتهي الى الخير .
ولكن تحطّم ايها القلب . عليّ ان امسك لساني عن القول .

(يدخل هوراشيو وبرنردو ومرسلس)

هوراشيو : السلام عليك يا سيدي .

هاملت : يسرني أن اراك في صحة وعافية .
هوراشيو ـ ام انني نسيت نفسي ؟

هوراشيو : هو بعينه يا سيدي خادمك الفقير أبداً .

هاملت : سيدي وصديقي الحميم ، ابادلك تلك التسمية .

---

* زوجة ملك ثيبة قتل ابناؤها السبعة وبناتها السبع ، وفي بكائها استجاب زفس لرجائها بأن حولها الى تمثال من حجر يذرف الدمع طيلة الصيف .

وما الذي تفعله بعيد عن وتنبرغ يا هوراشيو ؟
وانت يا مرسلس !

مرسلس : سيدي العزيز !

هاملت : اني مسرور جداً برؤيتك . مساء الخير يا سيدي .
ولكن ما الذي بربك تفعله بعيداً عن وتنبرغ ؟

هوراشيو : طبيعةٌ هَروب ، يا سيدي العزيز .

هاملت : لن اقبل مثل هذا القول حتى من عدوك
ولن تهاجم اذني فترغمها
على قبول كلامك ضد نفسك .
اني اعلم انك لست ممن يتهربون
ولكن ما شأنك في قلعة ألْسينور ؟
سنعلمك الافراط في الشرب قبل ان تغادرنا .

هوراشيو : جئت يا سيدي لاحضر جنازة ابيك .

هاملت : أرجوك يا زميل الدراسة ألا تهزأ بي .
اظن انك جئت لترى زفاف امي .

هوراشيو : حقاً ، لقد عقب الزفافُ الجنازة بسرعة يا سيدي.

هاملت : الاقتصاد ، الاقتصاد ، يا هوراشيو . خبز الجنازة
قُدم بارداً على موائد العرس .
ليتني كنت قابلت أَلدّ اعدائي في السماء
ولم أر ذلك اليوم يا هوراشيو .
أبي ــ اظن انني أرى أبي .

هوراشيو : اين يا سيدي ؟

هاملت : في بصيرتي .

هوراشيو : رأيته مرة ؛ كان ملكاً صالحاً .

هاملت : كان رجلاً ، على وجه العموم ،
ولن ترى عيني مثله ثانية .

هوراشيو : سيدي ، اظنّ انني رأيته الليلة الماضية .

هاملت : رأيته ؟ من ؟

هوراشيو : ابوك الملك ، يا سيدي .

هاملت : ابي الملك ؟

هوراشيو : خفّف من غلوائك لحظةً ،
وأعرني اذناً صاغية فأقص عليك
بشهادة هذين السيدين
خبر هذه الاعجوبة .

هاملت : بربك تكلمْ .

هوراشيو : في ليلتين متعاقبتين ، وفي اثناء الحراسة ،
عند منتصف الليل الرحيب الدجى ،
تصدى لهذين : مرسلس وبرنردو ،
شبح على هيئة ابيك
مدجج بالسلاح ، يمشي الهوينا
مشية العز والجلال : ثلاث مرات
مرّ امام عيونهم المترعة بخوف مفاجىء
في بُعد الصولجان منه ، فكادوا يذوبون
هلاماً من شدة الفزع
وجمدوا خرساً لا يخاطبونه .
لقد أسرّوا ذلك إليّ والخوف ملء قلوبهم
فشاركتهم الخفارة في الليلة الثالثة
واذا كل كلمة نطقوا بها صادقة : فكما قالا ،

في الزمن المحدد والشكل المذكور ،
ظهر الطيف . وأنا اعرف أباك ،
ليس بين هاتين اليدين من شبه أشدّ مما
بين الطيف وأبيك .

هاملت : ولكن أين كان ذلك .

مرسلس : في تلك الناحية من البرج حيث قمنا بالخفارة يا سيدي.

هاملت : ألم تخاطباه ؟

هوراشيو : أنا خاطبته يا سيدي .
ولكنه لم يحر جواباً . ولو انني ظننت مرة
أنه رفع رأسه وأتى بحركة كأنه يريد الكلام .
ولكن في تلك اللحظة نفسها صاح ديك الصباح عالياً،
فانكمش حال سماعه الصوتَ
واختفى عن أعيننا .

هاملت : غريب جداً .

هوراشيو : انه والله لصدْق .
فقلنا إنه قد خُطّ في واجبنا
ان نطلعك عليه .

هاملت : طبعاً طبعاً ، ايها السادة . ولكن هذا يقلقني .
أتخفران الليلة ؟

مرسلس وبرنردو : اجل يا سيدي .

هاملت : قلتما « مدجج بالسلاح » ؟

كلاهما : مدجج بالسلاح يا سيدي .

هاملت : من الرأس حتى القدم ؟

كلاهما : من الرأس حتى القدم يا سيدي .

هاملت : اذن لم تريا وجهه ؟
هوراشيو : بلى يا سيدي . كان رافعاً قناعه الحديدي .
هاملت : أكان عابساً ؟
هوراشيو : كان ما في وجهه حزناً اكثر منه غضباً .
هاملت : شاحبٌ أم أحمر ؟
هوراشيو : بل شاحب جداً .
هاملت : وثبّتَ فيكم عينيه ؟
هوراشيو : بثبات مستمر .
هاملت : ليتني كنت هناك .
هوراشيو : لكنت اندهشت كثيراً .
هاملت : محتمل ، محتمل جداً . أظلَّ وقتاً طويلاً ؟
هوراشيو : ربثما يعدّ المرء الى المئة على مهل .
كلاهما : بل اكثر ، اكثر .
هوراشيو : الا عندما رأيته أنا .
هاملت : وكانت لحيته مشوبة بالبياض ؟
هوراشيو : كانت كما رأيتها في حياته
سوداء مفضّضة .
هاملت : سأخفر هذه الليلة
فلعله يطوف مرة اخرى .
هوراشيو : اؤكد لك انه سيفعل .
هاملت : اذا تقمّص شخص ابي النبيل ،
فانني سأخاطبه ولو فتحت جهنم فاها
وامرتني بالصمت . ارجوكم جميعاً
ان كنتم حتى الآن قد كتمتم أمر هذه الرؤية ،

فلتُخفوها بصمتكم بعد .
ومهما يحدث الليلة
امنحوه ادراككم لا اللسان ،
أكافئكم على حبكم لي . اذن ، وداعاً .
سأزوركم في مكان الخفارة من القلعة
بين الحادية عشرة ومنتصف الليل .

الكل : ولاؤنا لسموكم .

هاملت : حبكم لي كحبي لكم . الوداع .

(يخرجون)

روح أبي تحت السلاح؟ ليس كل شيء على ما يرام.
لعل في الامر سوءاً .
ليت الليل يُقبل الآن .
حتى تلك الساعة استقرّي يا نفسي .
ما من إثم إلا وسيبدو ، مهما احتجب ،
ولو غمرته الدنيا بأجمعها عن اعين الناس .

المشهد الثالث

غرفة في منزل بولونيوس . يدخل لرتيس واوفيليا .

لرتيس : لقد حُمّلت ضرورياتي في السفينة . وداعاً .
ويا اختاه ، ما دامت الرياح تمدّنا
وحمل الرسائل يعاضدنا ، لا تنامي
إلا وقد كتبتِ اليّ .

اوفيليا : اتشك في ذلك ؟

لرتيس : أما عن هاملت ، وما يمحضك من قليل الحب ،
فلا تحسبيه الا مجاملة ونزوة في الدم ،
بنفسجة في ريعانها
تُقبْل ولا تدوم ؛ ذكية غير باقية ،
شذا وطراوة دقيقة واحدة ،
لا اكثر .

اوفيليا : اذاك ولا اكثر ؟

لرتيس : لا تحسبيها اكثر من ذلك :
فالطبيعة الناشئة لا تنمو وحدها
قوة وحجماً : بل إذ يكبر هذا الهيكل
يتسع معه ايضاً ما في داخله
من قوى العقل والروح .
فلعله الآن يحبك ،
ولا لطخة او خديعة تلوّث
فضيلة ارادته . ولكن عليك ان تتحسَّبي :
اذا علت منزلته خرجت من يده ارادته ،
فهو نفسه خاضع لمحتده ،
وليس له ، كغيره ممن لا وزن لهم ،
ان يختار لنفسه ، لان على اختياره
تتوقف صحّة وسلامة هذه الدولة بأسرها ،
ولذا لا بد لاختياره من ان يحدده
صوت ومشيئة هذا الجسم
الذي هو رأسٌ له .
فاذا قال إنه يحبك

فمن الحكمة ان تصدقيه الى الحد الذي
يستطيع عنده ان يقرن قوله بالفعل
بموجب ما يختص به من مكانة وعمل ، ولن يكون
ذلك الحد بأبعد
مما يؤيده ذوو الشأن في الدانمرك .
قدّري اذن مبلغ ما يحيق بشرفك من خسارة
ان انت اصغيت اليه باذن تصدق اكثر مما ينبغي
او ضيعت قلبك من اجله،او فتحت خزينتك العذراء
للجاجة منه لا يملك زمامها .
اخشي ذلك ، اخشَيْه يا اختي الحبيبة ،
وابقَيْ في المؤخرة من عواطفك ،
بعيدة عن مرمى الشهوة والخطر .
مهما ضنّت البكر ، اسرفت
ان هي رفعت القناع عن جمالها للقمر .
والعفة نفسها لا تخلص من ضربات الاغتياب .
ما اكثر ما يفسد السوس زغب الربيع
قبل ان تتفتح براعمه ،
والعواصف الموبوءة يشتد احتمال هبوبها
عند صبح الشباب ونداه الطري .
اذن ، خذي الحذر ، ففي الخشية السلامة .
الشباب يتمرد لنفسه ، وإن لم يكن بقربه أحد .

اوفيليا سأجعل مضمون هذا الدرس المفيد
حارساً لقلبي . ولكن ، يا أخي العزيز ،
لا تفعل كما يفعل كاهن لئيم ،

يريني الطريق الكأداء الشائكة الى السماء
وهو ، كخليع مندلق الكرش لا يبالي ،
يطأ سبيل اللهو المحفوف بالورد
ولا يأبه للنصح ، الذي ينضح به .

لرتيس : لا ، لا تخافي .

(يدخل بولونيوس)

تأخرت . لكن هوذا ابي آتٍ .
ان البركة المزدوجة لنعمة مزدوجة .
والفرصة مؤاتية لتوديع ثانٍ .

بولونيوس : اما زلت هنا يا لرتيس؟ عيب يا هذا، اصعد سفينتك.
الريح قابعة بين كتفي شراعك
وهم في انتظارك . هاك بركتي ، فلتكن معك .
وهذه بعض النصائح ، خُطّها في ذاكرتك .
أمسك اللسان عن افكارك
ولا تنفذ فكرة لا تتناسب مع ظروفها .
مع الناس لا تتكلف ، وكذلك لا تتبَذّل .
اذا امتحنت اصدقاءك ، الذين اخترتهم ،
شدّهم باطواق من الصلب لنفسك ،
ولكن لا تبلد كفّك بالترحيب
بكل غرّ لم يُزغب ولم يخرج بعد من بيضته .
احذر الدخول في الشجار ، ولكن اذا دخلته
احسن البلاء لكي يحذرك خصمك .
اذنك اعرها لكل انسان ، أما صوتك فاقصرْه
على القلّة ،

خذ الرأي من كل فرد ولكن احتفظ بحكمك .
أنفق وسْع كيسك على ثيابك ،
على ألا تغرب بها ، ولتكن فاخرة لا صارخة ،
فالزيّ كثيراً ما يفصح عن صاحبه ،
وذوو أرفع المراتب والمناصب في فرنسا
الأخصّون الاكرمون ، ابرع الناس في ذلك .
لا تَدِنْ ولا تستدنْ ،
فالدّيْنُ كثيراً ما يفقد نفسه والصديق ،
والاستدانة تفلّ حدّ الاقتصاد .
وهذا اذكرْه فوق كل شيء :
كن صادقاً مع نفسك ، واذا فعلت ،
تلا ذلك ، كالليل يتلوه النهار ،
انك لن تكون كاذباً مع أحد .
وداعاً ، وليثمر هذا النصح فيك ببركتي .

لرتيس : استأذنك الذهاب بأشدّ التواضع ، يا سيدي .

بولونيوس : الزمن يدعوك ، فاذهب . خدّامك في انتظارك .

لرتيس : وداعاً يا اوفيليا ، واذكري جيداً
ما قلته لك .

اوفيليا : لقد اقفلت عليه في ذاكرتي
واودعت المفتاح لديك .

لرتيس : وداعاً .

(يخرج لرتيس)

بولونيوس : ما الزي قاله لك يا اوفيليا ؟

اوفيليا : شي يتعلق بسيدي هاملت .

بولونيوس : احسنت تذكيري والله .
لقد نمي إلي انه ، في الآونة الأخيرة ،
كثيراً ما يختلي بك ، وأنك أنت ايضاً
تتساهلين وتسخين جداً بالمثول بين يديه .
فاذا كان الأمر كذلك ،
فعليّ تحذيراً ان اقول لك ،
انك لا تفهمين نفسك فهماً واضحاً
خليقاً بابنتي ، وبشرفك .
ما الذي بينكما ؟ قولي الحق .

اوفيليا : لقد قدّم لي اخيراً ، يا سيدي ، دلائل عديدة
على ودّه لي .

بولونيوس : « ودّه » ، هَه ! تتكلمين كفتاة غِرّة
لم يعجم عودها في مثل هذه الحالات الخطرة .
أتصدقين « دلائله » ، كما تسمينها ؟

اوفيليا : لست ادري ، يا سيدي ، ما الذي اصدق .

بولونيوس : اذن ، سأعلمك : اعتبري نفسك طفلةً
حَسَبَتْ دلائله نقداً صحيحاً
وإن لم يكن بالنقد المعترف بقدره .
وارفعي من قدر نفسك ،
وإلا ــ كدت ازهق روح العبارة المسكينة بتدويرها
هكذا ــ جعلتني قدراً في عداد البلهاء .

اوفيليا : سيدي ، لقد محضني الحبّ
على اشرف غرار .

بولونيوس : أجل ، « غراراً » تسمين ذلك . هيّا ، هيّا .

اوفيليا : ودعم قوله ، يا سيدي ،
بأقدس الوعود .

بولونيوس : شِراكٌ لصيد العصافير .
وانا أعلم ، كم تُسرف النفس ، حين يلتهب الدم ،
في مدّ اللسان بالوعود . هذا الأجيج ، يا ابنتي ،
الذي يبعث نوراً اكثر منه حرارة ، والذي ينطفىء
في كليهما ،
حتى في بدئهما ، عند الاشتعال ،
يجب ان لا تحسبيه ناراً . فمن هذه الساعة ،
قللي شيئاً من مثولك العُذري امامه ،
واجعلي التماسه الحديث اليك اعزّ
من الدعوة الى المفاوضة . فعن سيدنا هاملت ،
لا تصدقي من أمره الا انه شاب ،
له من مدى التجوال أكثر مما يجوز
اعطاؤه اليك . وجملة القول ، يا اوفيليا ،
لا تصدقي وعوده . فما وعوده الا سماسرة
ليسوا من الصبغة التي تُبديها ثيابهم ،
وهم انما يترجّون تحقيق الدّنس من القضايا
فيتنفسون كالداعر التقيّ الورع
ليتقنوا الخديعة . والخلاصة ،
لا اريدك من الآن فصاعداً ــ وأقولها صراحةً ــ
ان تنفقي لحظة واحدة من اوقات فراغك
في الكلام او الحديث مع الأمير هاملت .
هذا نهيٌ مني ، فخذي الحذر . انصرفي وشأنك

اوفيليا : سمعاً وطاعةً ، يا سيدي .

(يخرجان)

المشهد الرابع

في أحد ابراج القلعة . يدخل هاملت وهوراشيو ومارسلس .

هاملت : الهواء قارس . بارد جداً .

هوراشيو : انه حاد ، جارح .

هاملت : ما الساعة الآن ؟

هوراشيو : لعلها تقارب الثانية عشرة .

مارسلس : لا ، فقد دقت .

هوراشيو : صحيح ؟ لم اسمعها . اذن فقد دنا الاوان
الذي اعتاد فيه الطيف ان يتمشى .

(نفير ، ودوي قذيفتين ، في الداخل)

ما معنى ذلك ، يا سيدي ؟

هاملت : ان الملك يسهر الليلة ، وسيظل ساهراً
في شرب ورقص متبختر .
وكلما أفرغ الجرعات من خمر « الراين »
نهق الطبل والنفير معلنَين
مجد نصره المخمور .

هوراشيو : أهذه عادته ؟

هاملت : إي والله !
لكنها في معتقدي ، وان اكن من مواليد هذا البلد
الذين ترعرعوا عليها ، عادةٌ

أَجمل بها ان تهمل من ان تُتّبع .
فهذا الشراب الذي يثقل الرأس انما
يجعل الاقوام تمعن في قدْحنا وذمنا شرقاً وغرباً .
انهم يدعوننا بالسكارى ، ثم يلوثون اسمنا
بنعوت الخنازير . انها لتنال من انجازاتنا
مهما سَمَوْنا في تحقيقها ، وتقضي على اللباب من سمعتنا .
كثيراً ما يحدث مثل هذا للأفراد من الناس ،
فترى ان فيهم هَنَةً خبيثة من الطبيعة
وُلدوا بها ولا ذنب لهم فيها —
فالطبيعة لا تستطيع اختيار اصلها
فتستفحل فيهم خصلة طُبعوا عليها
لتقوّض اسوار العقل وقلاعه ،
او ان عادة ما يكتسبونها ، تسري في
كيان الرقة والادب منهم ، فهؤلاء الافراد
اذ يحملون ، كما قلت ، طابع نقص واحد
أَلبستهم اياه الطبيعة او انزاله بهم سوء الطالع ،
مهما تنقَ فضائلهم الاخرى
ومهما يبلغ عددها ، تَفْسُد في مجموعها الكلي
من جرّاء ذلك العيب : ان درهماً من الرذيلة
يجرّ العار على الكلّ الرفيع .

(يدخل الطيف)

هوراشيو : انظر ، يا سيدي ، إنه آتٍ .

هاملت : ملائكةَ الرحمة والخير احفظينا !
سواء كنتَ روحاً منعّماً ، ام مارداً لعيناً ،

بنسائم من السماء جئتَ أم باعاصير من الجحيم،
خبيث النوايا كنتَ ام نبيلها ،
فانك آت في شكل يثير السؤال ،
ولسوف اُخاطبك ولسوف ادعونّك هاملت ،
ملكاً ، وابا ، ودانمركياً حاكماً . بالله أَجبني ،
ولا تدعني اتفجرّ جهلاً ، وقل لي
لماذا شقّت عظامك ، في تابوت الموت ،
اكفانها ، ولماذا فغر الضريح
الذي رأيناك تثوى فيه
فكيه الرخامتين الرهيبتين
ليلفظك منه ؟ ما الذي يعنيه ذلك ؟
ما الذي يعنيه انك ، وانت جثمان لا حياة فيه ،
تعود هكذا في الدرع والزَرَد لتزور نظرات القمر
من جديد
وتجعل من الليل رعباً ، وتزلزل الخواطر فينا رهبة —
وما نحن الا ألعوبة الطبيعة — بفِكَرٍ
تقصر عنها روحنا ؟
ما السبب، قل لي ، لماذا ؟ ما الذي علينا ان نفعله ؟
(يومىء الطيف لهاملت)

هوراشيو : انه يومىء اليك بمرافقته ،
كأن لديه ما يسرّه اليك فقط .

مرسلس : انظر ، بأي ادب ولطف يدعوك
الى مكان اكثر عزلة .
ولكن ، لا تذهب معه .

هوراشيو : لا ، ابداً ، ابداً ، ابداً .

هاملت : انه لا ينطق . إذن سأتبعه .

هوراشيو : لا تفعل ، يا سيدي .

هاملت : ولم لا ؟ ما الخوف ؟

اني لا أثمّن حياتي بفلسين —

أما روحي ، فما الذي يستطيع ان يفعل بها ،

وهي خالدة مثله لا تموت ؟

إنه يلوّح لي ثانية . سأتبعه .

هوراشيو : أخشى ان يقتادك اغراءً الى الطوفان ، يا سيدي ،

أو الى قمة صخرية مريعة

تطل من فوق قاعدتها على البحر ،

وهناك يتقمص شكلاً مرعباً آخر

قد يسلبك سلطان العقل ،

ويجرّ بك نحو الجنون . تأمّل :

ان المكان وحده ، دونما دافع آخر ،

ليشحن الذهن بخواطر اليأس ،

اذ ينظر المرء من شاهق العلو الى البحر

ويسمعه هادراً في القرار السحيق .

هاملت : ما زال يشير اليّ .

تفضل . سأتبعك .

مرسلس : لن تذهب ، يا سيدي !

هاملت : ارفع يديك عني !

هوراشيو : اعقَل ! لن تذهب !

هاملت : مصيري يصيح بي ،

ويجعل كل عرق صغير في هذا الجسد
صلباً عاتياً كعروق الاسد « النيمي » *
انه ما زال يدعوني اليه ؟ أيديكم عني ، ايها السادة .
والله لاجعلن طيفاً ممن يعترض سبيلي .
قلت ، تفضل ، سِر ، اني وراءك .

(يخرج الطيف وهاملت)

هوراشيو : خياله يحدو به الى الاستماتة .

مرسلس : لنتبعه . من العيب ان نطيعه على هذا النحو .

هوراشيو : لا بأس . تُرى ما نتيجة كل هذا ؟

مرسلس : في دولة الدانمرك فساد وعفن .

هوراشيو : ستهديها السماء .

مرسلس : لنذهب في اثره .

المشهد الخامس

مكان آخر من البرج . يدخل الطيف وهاملت .

هاملت : الى اين تبغي اقتيادي ؟ تكلم ! لن اخطو ابعد من هنا .

الطيف : انظر اليّ .

هاملت : أجل .

الطيف : دنت ساعتي التي
عليّ فيها ان اسلّم نفسي

* الذي كان قتله اول الواجبات الرهيبة التي قام بها هرقل .

لنيران الكبريت والعذاب .

هاملت : واألماه ايها الطيف المسكين !

الطيف : لا تشفق عليّ ، ولكن أَعرني اذناً جادة مصغية
لما سوف ابوح به .

هاملت : تكلم . اني متهيء للسماع .

الطيف : وملزم انت ايضاً بالانتقام ، حالما تسمع .

هاملت : ماذا ؟

الطيف : انا روح أبيك ،
وقد حُكِم عليّ بأن اطوف في الليل زمناً ؛
وفي النهار ، بأن اتضوّر جوعاً في اللُّهُب
الى أن يحترقَ ما اقترفته من الآثام
في حياتي الدنيا ، فأطْهُرَ منها . ولو لم يُحظر عليّ
افشاء أسرار سجني
لسردت على مسمعك قصةً ، أخفّ لفظة فيها
تعذب نفسك وتجمد دمك الفتيّ ،
وتجعل عينيك تطفران كنجمتين من فلكيهما ،
وخُصُلاتِك الضفيرة المتواشجة تتناثر ،
وكل شعرة في رأسك تنتصب
كالريش المزبئرّ في جلد قنفذ ساخط .
ولكن حُرّم البوح بأسرار الأبدية
لآذان صُنعت من اللحم والدم . فاسمع يا هاملت ،
اسمع ،
ان كنت يوماً قد أحببت أباك العزيز .

هاملت : رباه !

الطيف : انتقم لمقتله الخسيس اللئيم .

هاملت : مقتله ؟

الطيف : مقتلٌ ملؤه الخسّة، والقتل في أفضل الاحوال خسيس.
كان ملء مقتله الخسّة والغدر والتعدي على شرائع الطبيعـــة

هاملت : أسرع القول ، بالله اسرع ، فانطلقُ ، بأجنحة
لها سرعة الفكر وتأملات الهوى ،
الى انتقامي

الطيف : أراك متهيئاً للعمل ،
ولكنتَ أبلد من العشب السمين
الذي ينمو مسترخياً على ضفاف « ليذي » *
لو لم يثرْك ما اقول . فاسمع يا هاملت :
لقد شيعوا انني كنت نائماً في حديقتي ،
فلدغتني أفعى : هكذا خدعوا اذنَ البلد كله
بالتلفيق عن موتي . ولكن أعلم ايها الفتى النبيل ،
ان الأفعى التي لدغت الحياة من أبيك
تلبس الآن تاجه .

هاملت : يا لنفسي التي تنبأتْ
أعمّي ؟

الطيف : أجل، ان ذلك الوحش الفاسق الذي استباح المحرمات،
بسحر دهائه ، وهداياه الخؤون ــ
يا له من دهاء اثيم، ويا لها من هدايا تقوى على اغراء
كهذا ! ــ أخضع لشهوته المخزية

* نهر النسيان في العالم السفلي .

إرادة الملكة ، وهي الـتي اجادت ادعـاء العفـة والفضيلة .

يا له من جفاء نحوي كان ، يا هاملت ،
ذلك الجفاء ، أنا الذي كان حبي لها
من الرفعة بحيث مشى يداً بيد
مع عهدي الذي قطعته لها بالزواج ؛
من أجل صعلوك مواهبه الطبيعية
لا تقاس بمواهبي في شيء !
وكما ان الفضيلة لن تتزحزح ،
وان راودها الفجور في أجمل اشكال السماء ،
فان الشبق ، وان يقترنْ بملاك بهيّ ،
ليُتخمنّ نفسه في فراشٍ عُلوي ،
ويقتات على النفاية .
ولكن مهلاً ، هذا شميم نسائم الصبح ،
فلأختصر : فيما كنت في القيلولة في حديقتي
كعادتي بعد الظهر من كل يوم ،
تسلل عمك اليّ ، في ساعتي الامينة تلك ،
وبيده حُقٌّ من عصير الآبنوس اللعين ،
وفي الفتحة من أذنيّ صبّ
قُطارة الجرَب تلك ، ولمفعولها
عداء ضد دم الانسان ،
فهي بسرعة الزئبق تجري
خلال بوابات الجسم وممراته الطبيعية ،

وبعنف فجائي تخثّر الدم السيّال النقي
كمن يصب قطرات حامضة في وعاء من الحليب .
هكذا خثّرتْ دمي .
وفي الحال ، كالمصاب بالبرص ، اكتسى جسدي الأملس كله
بقشرة من البثور ، قبيحة لعينة .
على هذا النحو فقدت ، وأنا في رقادي ، وعلى يد أخٍ لي ،
الحياة والتاج والملك ، فقدتها كلها دفعة واحدة .
لقد اغتالني وانا في الاوج من خطاياي
بلا اعترافٍ ولا قربان ولا زيت مقدس ،
بلا حساب لما اقترفت ، لكي اجابه حساب الله
وآثامي وعيوبي كلها على رأسي .
يا للهول ! يا للهول ! يا لشدة الهول !
ان كانت الطبيعة سويةً فيك ، انتفض !
ولا تدع سرير ملك الدانمرك يتحول
الى فراش للفجور والزنى اللعين بذوي القربى
ولكن كيفما فعلت لتنفيذ هذا العمل ،
لا تلوث دماغك ، ولا تدبر ايّ مكيدة
لأمك . اتركها للسماء ،
وللشوك المقيم في صدرها
ليُعمل فيها وخزه ولسعه . ولأودّعك على الفور !
تشير اليراعة الى دنوّ الصباح ،

فقد أخذت نارها الباطلة بالشحوب :
وداعاً ، وداعاً ، يا هاملت . لا تنسني .
(يخرج الطيف)

هاملت : يا جحافل السماء ! ايتها الارض ! ماذا بعد ؟
وهل أضيف الجحيم ؟ ألا تبّـاً ! تماسك ايها القلب،
وانت يا عضلاتي ، لا تشيخي في طرفة عين ،
واحمليني ، وان تتيبسي ! لا أنساك ؟
أجل ، ايها الطيف المسكين ، ما دام للذكرى مكان
في هذه الكرة المشوشة [ممسكاً رأسه بيديه] .
لا أنساك ؟
أجل من لوح ذا كرتي
سأمحو كل تدوين سخيف أحمق ،
حِكَمَ الكتب كلها ، كل شكل وكلّ انطباع مضى ،
مما نسخ الشباب هناك وسجلته الملاحظة ،
ولن يبقى في كتاب ذهني إلا
أمرك وحده ، دون غيره ،
لا تخالطه مادة رخيصة . نعم ، نعم ، وحق السماء !
ايتها المرأة الفتاكة المدمّرة !
ايها النذل ، النذل ، ايها النذل البسّام اللعين !
دفتري ، اين دفتري ؟ جديرٌ بي ان ادوّن فيه
ان المرء قد يهش ويبش وهو نذل ؛
او ، على الاقل ، هكذا الحال في الدانيمرك :

هكذا دونتك يا عماه . اما كلمة السر عندي ،
فهي : « وداعاً وداعاً لا تنسني » .
لقد اقسمت !

هوراشيو : [من الداخل] سيدي ، سيدي !
مرسلس : سيدي هاملت !
هوراشيو : حفظه الله !
هاملت : وليكن ذلك .
هوراشيو : هِلو ، هو هو ! *
هاملت : هِلو ، هو هو ! يا ولد ! تعال يا طير ، تعال !

(يدخل هوراشيد ومرسلس)

مرسلس : كيف الحال يا مولاي ؟
هوراشيو : ما الخبر يا مولاي ؟
هاملت : رائع ، رائع جداً !
هوراشيو : اخبرنا به يا مولاي .
هاملت : لا ، ستبوحان به .
هوراشيو : أنا ؟ لا والله يا سيدي .
مرسلس : ولا انا يا سيدي .
هاملت : ماذا تقولان اذن ؟ أيخطر مثل هـذا ببال انسان ؟
ولكن ، اتكتمان ؟
الاثنان : نعم والله .
هاملت : ما من نذل قاطن في هذا البلد كله

---

* هذه صيحة الصياد بالصقر حين يريد استعادته .

إلا وهو وغد حقير .

هوراشيو : سيدي ، لا حاجة بنا لطيف قادم من القبر
لينبئنا بذلك .

هاملت : محقّ ، والله انت محق .
ولذا ، فلنقطع اللفّ والدوران ،
لأنني ارى من الصواب ان نتصافح ونفترق .
اذهبا الى حيث يشير اليكما الشغل او الهوى .
فلكلٍّ شغله وهواه ،
مهما يكن . أما أنا ،
فانظرا ، اني ذاهب لأصلّي .

هوراشيو : هذه كلمات لا نسق فيها ولا معنى ، يا سيدي .

هاملت : آسف لأنها تسيء اليكما . من كل قلبي .
إي والله ، من كل قلبي .

هوراشيو : لا ، لا اساءة فيها ، يا سيدي .

هاملت : بلى ، والله ، ان فيها لإساءة ، يا هوراشيو .
إساءة كبرى ، تتعلق بهذه الرؤيا .
إنه طيف كريم ، ارجو ان تعلما ذلك .
اما من حيث رغبتكما في معرفة ما جرى بيننا ،
فتحكّما بها ما استطعتما. والآن، يا صديقيّ الكريمين،
كلاكما صديق واستاذ وجندي ،
ولذا أَرجو ان تستجيبا لطلب طفيف مني .

هوراشيو : وما هو يا مولاي ؟

هاملت : لا تخبرا أَحداً بما رأيتما هذه الليلة .

الاثنان : لن نخبر احداً يا مولاي .

هاملت : بل ، أقسما على ذلك .

هوراشيو : قسماً بالعليّ العظيم .

مارسلس : قسماً بالعليّ العظيم .

هاملت : على سيفي

مارسلس : لقد أَقسمنا يا سيدي .

هاملت : على سيفي ، أقسما .

(الطيف يصيح من أسفل المسرح)

الطيف : أَقسما !

هاملت : ها ، يا رجل ، أتقول ذلك ؟ أأنت هناك يا صاح ؟
هيّا اذن ، لقد سمعتما الرجل يصيح من السرداب .
تفضلا بالقسم .

هوراشيو : إتلُ اليمين يا مولاي .

هاملت : الاّ تتفوّها بما رأيتما .
أَقسما على السيف .

الطيف (من الاسفل) : أَقسما !

هاملت : أهنا وفي كل مكان ؟ فلننتقل من هنا .
تعالا هنا ،
وضعا يديكما ثانية على سيفي ،
يميناً بأنكما لن تتفوها بما رأيتما .
أَقسما بسيفي .

الطيف (من الاسفل) : أقسما !

هاملت : حسناً نطقت يا خُلد ! ما أسرع ما تنقب الأرض ! حفّار بارع ! لننتقـــل مرة أخرى ، يا صديقيّ الكريمـــين .

هوراشيو : انه والله لأمر غريب !

هاملت : اذن رحّب بالغريب .

ان في السماء والارض يا هوراشيو اموراً

اكثر بكثير مما تحلم به فلسفتك .

ولكن اسمعا ،

رحمكما الله ، من اليوم فصاعداً ،

مهما أغربت او شذذت في سلوكي ،

إذ قد أجد من الملائم بعد اليوم

ان أتظاهر بالبلاهة والجنون ،

فلا تقفا هكذا ، في مثل هذه الظروف ،

مكتوفي الأيدي ، او تهزا الرأس ،

او تتلفظا بعبارات مريبة ، كأن تقولا

« نعم ، نعرف » أو « نقدر لو اردنا ... »

او « لو أردنا الكلام .. » او « هناك من يستطيع »

او أي افصاح كهذا عن انكما

تعلمان من أمري شيئاً . امتنعا عن ذلك البتة ،

ولتحل عليكما النعمة والرحمة عند الشدائد ..

أقسما !

الطيف : أقسما !

هاملت : استرح ، استرح ، ايهـــا الروح الجزِع . وهكذا يا سيدي

أحييكما مع خالص ودي .
أما ما سيفعله هاملت المسكين
ليعبّر عن وده وصداقته لكما
فلن يعوزه فعله باذن الله . لندخل سويةً ،
ولتبقَ أصابعكما على شفاهكما .
فالزمان مضطرب . يا للكيد اللعين
ان أكون أنا قد ولدت لاصلح منه اضطرابه .
هيا لنذهب معاً .

(يخرجون)

الفصل الثـــاني

المشهد الأول

بعد بضعة أسابيع . غرفة في منزل بولونيوس .
يدخل بولونيوس وريناالدو

بولونيوس : أعطه هذه النقود وهذه الاوراق ، يا رينالدو .

رينالدو : سأفعل يا مولاي .

بولونيوس : ولسوف تحسن صنعاً، يا رينالدو، إذا استفسرت عن سلوكه قبل زيارته .

رينالدو : هذا يا مولاي ما كنت أنوي أن افعله .

بولونيوس : أحسنت ، والله ، أحسنت . انظر .
اسأل أولاً عن الدانمركيين في باريس ،
من هم ، كيف هم ، أين يقيمون ، ما ظروفهم ،
من أصدقاؤهم ، ما مصاريفهم ، وحينما تجد —
إذ تراوغ وتداور وتحوم حول الموضوع —
انهم يعرفون ابني ، فانك بذلك
تدرك مأربك اكثر مما لو جعلت أسئلتك صريحة مباشرة ،
فتظاهر عندئذ بأن لك به معرفة من بعيد ،

كأن تقول « إني أعرف والده وأصدقاءه ،
وأعرفه هو معرفة ضئيلة ... » أتسمع يا رينالدو ؟

رينالدو : نعم ، نعم ، يا مولاي .

بولونيوس : « وأعرفه هو معرفة ضئيلة » ، تردف :
« لا معرفة وثيقة .
واذا كان هو الذي اعنيه ، فانه شاب اهوج ،
كثير الكذا والكذا ... » وعندها تنسب إليه
ما شئت من عيوب ملفقة — على الا تكون من
الحقارة بحيث تنال من شرفه . حذار من ذلك .
انسب اليه من زلات اللهو والمجون ما يُقرَن عادة
بالشباب والانطلاق .

رينالدو : كالقمار مثلاً ؟

بولونيوس : نعم ، او كالشرب ، والمبارزة ، والشتم ، والمشاجرة ،
وعشرة الساقطات .
لك ان تذهب الى هذا الحد .

رينالدو : ولكن ذلك يا مولاي ينال من شرفه

بولونيوس : ابداً ، لأنك ستلطّف في الحال ما تتهمه به .
حذار أن تنسب اليه ما يسبب الفضيحة
او تقول انه فاسق خليع .
ليس ذلك ما أعنيه . بل اشر بلباقة الى عيوبه
لتبدو أنها مما يشوب حرية الشباب ،
وانها وميض الذهن الناري واندلاعه ،
أو وحشية الدم الذي لم يروض بعد —
مما يعانيه معظم الشباب .

رينالدو : ولكن يا مولاي —

بولونيوس : لِمَ اطلب اليك هذا ؟

رينالدو : أجل يا مولاي .

بولونيوس : إليك غرضي من كل ذلك ،
ويقيني انها طريقة لا بد ان تنجح .
إنك اذ تنسب الى ابني هذه السيئات الطفيفة ،
كأن شيئاً ما قد تلوث قليلاً بالاستعمال ،
افاهم أنت ؟
زميلك في الحديث ، وانت تسبر غوره ،
يكون قد رأى الفتى الذي جرّمته انت
وهو منغمس في الموبقات المذكورة آنفاً ،
فيطابقك ولا شك على هذا النحو :
« سيدي، او كذا ، او يا صديقي ، او ايها المحترم» ،
حسبما ينص عليه لقب الرجل
وآداب بلاده .

رينالدو : نعم ، يا مولاي .

بولونيوس : ثم يا عزيزي ، يفعل هذا ، اجل ، يفعل هذا —
ما الذي كنت اريد ان اقول ؟ والله كنت أريد ان
اقول شيئاً — اين كنا ؟

رينالدو : عند «فيطابقك على هذا النحو» — عند «يا صديقي،
او ايها المحترم . »

بولونيوس : عند « يطابقك على هذا النحو » — اجل ، اجل ،
يطابقك قائلاً : « اني اعرف الفتى ،
وقد رأيته البارحة ، او منذ أيام .

او عندئذ ، او كيت وكيت ، وقــد رأيته ، كما
قلت انت ،
يلعب القمار في المكان الفلاني ، او يقــع أرضاً
من السكر ،
او يتشاجر وهو يلعب التنس . »
او لعله يقول : « رأيته يدخل الحانوت الفلاني ،
او الماخور » ، وهلمّ جرّاً ...
افترى الآن ؟
بطُعْمٍ من الكذب تصيد سمكة من الحقيقة .
وهكذا نحن المتمتعين بالحكمة والنفوذ
نكتشف بالطرق الملتوية والحياد عن الهدف
الوجهاتِ الصحيحة .
وعلى هذا الغرار ، اذا اتبعت اقوالي ونصائحي ،
ستكتشف ابني ، أفهمت ما اعني ؟

رينالدو : نعم ، فهمت يا مولاي .

بولونيوس : وداعاً ، وليكن الله معك .

رينالدو : وداعاً يا مولاي .

بولونيوس : تفحص ميوله بنفسك .

رينالدو : سأفعل يا مولاي .

بولونيوس : اجعله يغني موّاله .

رينالدو : نعم ، نعم يا مولاي .

(يخرج رينالدو)

بولونيوس : مع السلامة .

(تدخل اوفيليا)

والآن يا أوفيليا ، ما الخبر ؟

اوفيليا : والماه يا ابي ، لقد فزعت اشدّ الفزع .

بولونيوس : ما الذي افزعك يا هذه ؟

اوفيليا : ابتاه ، كنت منهمكة بالخياطة في غرفتي ،
واذ بالامير هاملت ، وسترته مفككة الازرار
ورأسه حاسر ، وجورباه الملوثان
بلا رباط يسقطان الى كاحليه كالقيود ،
ووجهه في مثل شحوب قميصه ، وركبتاه تصطكان،
وفي نظرته ما يقطع القلب كأنه
للتوّ قد انطلق هارباً من الجحيم
ليسرد الاهوال ــ هكذا وقف امامي .

بولونيوس : أجنّ حباً بك ؟

اوفيليا : لست ادري يا سيدي .
ولكنني ، والحق يقال ، اخشى ان يكون كذلك .

بولونيوس : وماذا قال ؟

اوفيليا : امسكني من معصمي ، وشدّد عليّ قبضته .
ثم ابتعد عني طول ذراعه
رافعاً كفه الاخرى ــ هكذا ــ فوق جبينه .
وراح يتمعّن في وجهي
كأنه يريد أن يرسمه . وبقي على تلك الحال طويلاً .
وأخيراً ، هز ذراعي هزّاً رفيقاً ،
رافعاً خافضاً رأسه ثلاث مرات
وتنهّد تنهدةً عميقة جارحة
كأنها تحطم منه الجسد برمته

وتنهي كيانه . بعد ذلك رفع عني يده ،
وبدا لي إذ أدار رأسه على كتفه
كأنه يرى طريقه دون عينيه ،
لأنه خرج من الباب دون عونٍ منهما
مسدّداً شعاعهما إليّ حتى النهايةَ .

بولونيوس : تعالي معي . سأذهب الى الملك .
هذا هو جنون العشق بعينه ،
وهو بشيمة عنفه يدمّر نفسه
ويحدو بالارادة إلى المحاولات اليائسه
كأي عاطفة جامحة اخرى
ابتليت بها طبيعتنا . إني آسف له .
أخبريني ، أأسمعتـِه مؤخراً الفاظاً قاسية ؟

اوفيليا : لا ، يا أبي العزيز . ولكنني إطاعة لأمرك
صددت عني رسائله ورفضت
مجيئه إليّ .

بولونيوس : لقد جُنّ لذلك .
يؤسفني انني لم أرقبه
بحيطة أشدّ وحُكم أصوب . خشيت انه انما يعبث
ويبغي إيلامك . قاتل الله ريبتي !
ليخيّل إليّ أنّ مِن خواص مَن في سنّنا
تجاوزَ المدى في الرأي
كما ان مِن شيم الأصغر سناً
قصورَهم عن الفطنة والرشاد . تعـالي ، لنذهب
الى الملك ،

لنعلمه بهذا الأمر الذي ، ان حجبناه عنه
سينتهي الى اضطراب أشدّ مما سينتهي الحب اليه .
تعالي .

المشهد الثاني

غرفة في القلعة . أبواق . يدخل الملك والملكة
وروزنكرانتز وغلدنسترن ، ومعهم آخرون .

الملك : مرحباً بكما ايها العزيزان ، روزنكرانتز وغلدنسترن .
لقد اشتقنا الى رؤيتكما ، وفضلاً عن ذلك
فان حاجتنا الى خدمتكما دفعتنا
الى الاسراع في طلبكما . لعلكما سمعتما
بتبدل هاملت : اني ادعوه تبدلاً
إذ ليس في مظهر الرجل ولا في دخيلته
ما يشبه ما كان عليه . فما الذي ،
سوى موت أبيه ، يُقصيه هكذا
عن فهم نفسه ،
لست ادري . أرجوكما إذن ، كليكما ،
لأنكما نشأتما معه منذ ايام الصغر ،
ولقربكما منه في شبابه ومزاجه ،
ان تتكرما فتقيما هنا في بلاطنا
بعضاً من الزمن ، لعلكما بعشرتكما
تجتذبانه الى اللهو والمتعة وتريان ،
ممّا تهيؤه الظروف لكما لتسقّطه ،

إن كان هناك ما يضنيه ولا علم لنا به
ممّا اذا انكشف ، استطعنا له العلاج .

الملكة : لقد تكلم عنكما الكثير ايها الكريمان ،
ويقيني ان ليس في الحياة اثنان
تعلق بهما مثلكما . فاذا تفضلتما
بابداء لطفكما وودكما نحونا
بأن تقيا معنا شيئاً من الزمن
توثيقاً وتحقيقاً لآمالنا ،
فان اقامتكما لتشكر لكما على نحو
يليق بملك ان يتذكره .

روزنكرانتز: لجلالتكم
بسيادتكم علينا
ان تصوغ ارادتكم المهابة صوغ أمرٍ
لا رجاء .

غلدنسترن : كلانا طوع أمركم ،
وها نحن نسلم نفسينا بطيبة خاطر
واضعيّن خدماتنا عند اقدامكم
رهن اشارتكم.

الملـــك : شكراً يا روزنكرانتز ويا غلدنسترن .

الملكة : شكراً يا روزنكرانتز ، ويا غلدنسترن .
أرجوكما أن تزورا على الفور
ابني الذي قد تغير تغيراً يقلقني .
(الى الآخرين) ليذهب بعضكم مع هذين السيدين الى
حيث هاملت

غلدنسترن : جعل الله في حضورنا واساليبنا
متعة له وعوناً .
(يخرجان مع الآخرين)
الملكة : آمين .
(يدخل بولونيوس)
بولونيوس : لقد عاد سفيرانا من النرويج يا سيدي
مستبشرَيْن .
الملك : انك دائماً ابو الانباء السارة .
بولونيوس : أحقاً يا سيدي ؟ اني اؤكد لكم يا مولاي
انني اكرّس واجبي ، كما اكرّس روحي ،
لإلهي ولمليكي الكريم .
واني لعلى يقين — وإلا فان ذهني هذا
لم يعد يتقصّى معالم السياسة
بثقته المعهودة — من انني عثرت
على السبب الاصيل في جنون هاملت .
الملك : حدثني عنه اذن . ذلك ما اتوق الى سماعه .
بولونيوس : اسمحوا اولاً للسفيرين بالمثول بين يديكم ،
لأجعل ابنائي كالفاكهة في نهاية الوليمة الكبرى .
الملك : رحّب بهما انت وأحضرهما الي .
(يخرج بولونيوس)
مليكتي الحلوة ، يقول انه قد عثر على
المنبع والمصدر في اختلال مزاج ابنك .
الملكة : لا أحسبنه الا ذلك السبب الاول دون غيره —
موت ابيه واستعجالنا الزواج .
(يدخل بولونيوس مع فولتماند وكورنيليوس)

الملــك : حسناً . سنغرباله .
اهلاً وسهلاً بالصديقين الكريمين .
اخبرنا يا فولتماند ، ما الذي ارسله معكما اخونا
ملك النروج ؟

فولتمانـد : انه يرد عليكم التحيات بأجمل منها، مع خير التمنيات.
عند اولى مقابلاتنا ، اصدر أمراً بايقاف
تعبئة جيوش ابن اخيه ، التي كانت قد بدت له
استعداداً لشن الهجوم على ملك بولندا . .
غير انه عندما انعم فيها النظر تحقق انها
استعداد لشن الهجوم على جلالتكم ، فأسف جداً
حين ادرك انه لمرضه وسنه وعجزه
قد خُدع وضُلل ، فارسل الى فرتنبراس
يأمره بالتوقف والعودة ، وهـــذا ــ باختصار ــ
صدع للأمر ،
وتلقى من ملك النروج الزجر والتوبيخ ؛ وجملة
القول ،
أقسم امام عمه بألا يجرب السلاح
ثانية باشهاره عليكم .
وعندئذ غمر الفرح قلب الملك
واوقف عليه ثلاثة آلاف دينار كراتب سنوي ،
وأصدر اليه امراً بقيادة الجنود ،
الذين حشدهم من قبل ، ضد ملك بولندا .
مع رجاء موضح هنا لـكم (يسلمه اوراقاً)
بأن تتفضلوا وتسمحوا له بالمرور الامين

في مقاطعتكم تنفيذاً لمهمته ،
بموجب شروط تطمئنون اليها
دُوِّنت هنا .

الملك : حسناً . هذا يرضينا .
وعندما يتاح لنا الوقت الملائم سنقرأ الاوراق
ونتأمل الموضوع ، ونجيب .
حتى ذلك الحين ، نشكر لكما جهدكما المبذول .
اذهبا واستريحا ، وفي الليل نحتفل معاً .
اهلاً وسهلاً ومرحباً .

(يخرجان)

بولونيوس : لقد انتهى هذا الامر على خير .
سيدي ، ويا سيدتي ، لو اطنبنا في شرح
آداب المُلك ، وماهية الواجب ،
وكيف يكون النهار نهاراً ، والليل ليلاً ، والزمان زماناً ،
لكنّنا انما نضيّع الليل والنهار والزمان .
ولذلك ، وحيث ان الايجاز روح البلاغة ،
والإملال اعضاؤها وزينتها الخارجية ،
سأوجز القول . ولدُكم النبيل مجنون .
أسميه مجنوناً ، اذ ما محاولة تعريف الجنون
الا جنون .
ولكن لندع ذلك جانباً .

الملكة : مادةً اكثر ، بتنميق أقل .

بولونيوس : أقسم لك يا سيدتي انني لا انمق

أما أنه مجنون ، فصحيح . وصحيح انه مؤسف ،
ومؤسف أنه صحيح . نكتة بيانية ـــ
لكن لننصرف عنها ، لانني لن أتحمّق .
فلنقل اذن انه مجنون . بقي علينا الآن
ان نجد السبب في هذه النتيجة ،
او قل السبب في هذا النقص ،
لأن النتيجة الناقصة هذه لا تأتي الا عن سبب .
أطرقوا وتأملوا :
ان لي ابنة ـــ وهي لي ، ما دامت ابنتي ـــ
وقد اعطتني هذه ، لاخلاصها وطاعتها لي ،

(يبرز ورقة)

وعليكم بالاستنباط والتخمين .
(يقرأ) « الى ابنة السماء ، معبودة روحي ،
اوفيليا ، أعمق النساء جمالاً ـــ »
هذه عبارة ، رديئة ، ركيكة ـــ «اعمق النساء جمالاً»
عبارة ركيكة جداً . ولكن اسمعوا وعوا .
(يقرأ) «في صدرها الناصع الحسن هذه الابيات الخ»

الملكة : أمن هاملت هذا الكلام اليها ؟

بولونيوس : مهلاً يا سيدتي الكريمة . سأكون اميناً .
(يقرأ) « هل للكواكب نارٌ في العلى ؟ تساءلي ،
هل دارت الشمس يوماً في الفضاء ؟ ـــ تساءلي ،
أيكذب من قال الحقيقة ؟ تساءلي
ولكن عن هواي ، حبيبتي ، لا تتساءلي .

عزيزتي اوفيليا ، لا اجيد عـدّ هذه التفاعيل ، وأنا
لا أجيد عـــدّ تنهداتي والانين . اما انني اهواك
يا خير الحسان ، فصدقي . والوداع !
المخلص لك ، يا أعزّ من كل عزيز ،
مـــا دام مالكاً لجسده الآلي هذا ،
هاملت »
هذا ما اطلعتني عليه ابنتي لطاعتها لأبيها ،
وكذلك اسمعتني ما ترجاها به من القول
وكيف ومتى وفي اي مكان .

الملـــك : ولكن كيف قابلتْ هذا الحب منه ؟

بولونيوس : كيف تنظرون اليّ ؟

الملـــك : كرجل أمين شريف .

بولونيوس : اود ان ابرهن على ذلك . ما الذي كنتم ستظنونه ــ؟
عندما رأيت هذا العشق المحموم على الجناح محلقاً ،
وقد لحظته قبل ان تخبرني ابنتي بشأنه ــ
يجب ان أقول ، ما الذي كنتم ستظنونه
انتم أو صاحبة الجلالة ملكتنا الكريمة ،
لو انني قمت بدور الدفتر او المنضدة بينهما ،
لو انني غمزت لقلبي ان اصمتْ ولا تتكلم ،
لو أنني نظرت الى هذا الحب نظرة من لا يكترث ،
ما الذي كنتم ستظنونه ؟ لا ، لقـد عملت بوضوح
وصراحة ،
وخاطبت صبيّتي المحترمة قائلاً :
ليس سيدنا الامير هاملت من نصيبك ،

فاحذري . ثم أوصيتها
بأن تحجب نفسها عن مسعاه اليها ،
وتمنع عنها رسله وترفض هداياه .
واذ قلت لها ذلك تناولت ثمرة نصيحتي ،
فلما صدته عن نفسها ــ ولنختصر الحكاية ــ
أصابه الأسى ، ثم امتنع عن الاكل ،
ثم حُرم النوم ، ثم اصيب بالهزال ،
ثم ابتلي بالخفة ، وبهذا التردي والهبوط
بلغ درك الجنون الذي يهذي الآن فيه
ويبكينا جميعاً عليه .

الملــك : اتعتقدين ان هذا هو الصحيح ؟

الملكة : من المحتمل جداً .

بولونيوس : هل رأيتموني يوماً ، من فضلكم ،
اقول عن شيء جازماً « ان الأمر كذا » ،
ثم ظهر انه لم يكن كذلك ؟

الملــك : كلا ، حسبما اعلم .

بولونيوس : إقطع هـذا عن هذا (مشيراً الى رأسه وعنقه) ، ان لم يكن الامر كما اقول .
فاذا لم تتمنع علي الظروف ، اكتشفت
مكمن الحقيقة ، حتى وإن اختفت
في باطن الارض .

الملــك : كيف لنا ان نتحقق الامر أكثر ؟

بولونيوس : انتم تعلمون أنه يتمشى احياناً ثلاث او اربــع ساعات متواليات

في هذه الردهة ؟

الملك : ذلك صحيح .

بولونيوس : سأطلق حينئذ عليه ابنتي .
ولنختبىء عندئذ وراء الستارة
ونرقب المقابلة . فاذا لم يكن يحبها
ولم يكن قد سُلب عقله لحبها ،
لا كنت وزيراً لدولة
بل مدير مزرعة وسائق عربات .

الملك : نجرب ما اقترحت .

الملكة : ها هو المسكين قادم وهو يقرأ .

بولونيوس : اذهبا ، اذهبا ، ارجوكما .
سأفاتحه بالأمر حالاً .

(يخرج الملك والملكة)

سماحك يا مولاي .
كيف حال سيدي الأمير هاملت ؟

هاملت : حسن ، والحمدلله .

بولونيوس : أتعرفني ، يا مولاي .

هاملت : أعرفك تمام المعرفة . انت بيّاع سمك .

بولونيوس : كلا يا مولاي .

هاملت : اذن ليتك كنت شريفاً مثله .

بولونيوس : شريفاً ، يا مولاي ؟

هاملت : نعم يا سيدي . فالشريف ، وهذه الدنيا على
ما هي فيه ، واحد بين ألفين .

بولونيوس : اي والله صحيح ، يا مولاي .

هاملت : فاذا كانت الشمس تولّد الديدان في كلب
ميّت ، لأنه جسد يصلح للقُبَل ــ هل لك ابنة ؟

بولونيوس : اجل يا مولاي .

هاملت : انهها عن المشي في الشمس : فالحمْل نعمة ،
ولكنه غير ما قد تحمله ابنتك . فانتبه يا صاح .

بولونيوس (جانباً) : ما قولك في ذلك ؟ ما زال يعيد ويكرر
موضوع ابنتي ، مع انه لم يعرفني اول الأمر . قال
انني بياع سمك ! لقد ساءت حاله . ساءت جداً .
والحق انني في شبابي قاسيت الامرّين من الحب ،
مثله تقريباً . سأخاطبه ثانية . (لهاملت) ما الذي
تقرأه ، يا مولاي .

هاملت : كلمات ، كلمات ، كلمات .

بولونيوس : وما الذي فيها ؟

هاملت : في من ؟

بولونيوس : في الكلمات التي تقرأها يا مولاي .

هاملت : قدح وذم، يا سيدي . لأن هذا الهجّاء الحقير يقول
هنا ، إن للشيوخ لحىً بيضاء ، وإن وجوههم
غضينة ، وعيونهم تفرز الصمغ الثخين ، كصمغ
الخوخ،وان فيهم الكثير من النقص في العقل،والعجز
في الإليتين . ولئن كنتُ يا سيدي اؤمن بهذا كله
ايماناً عميقاً راسخاً ، فانني ارى من العيب تدوينه
على هذا الشكل ، فانت يا سيدي قد تكون في سني
أنا لو استطعتَ المشي كالسرطان إلى الوراء .

بولونيوس (جانباً) : ان هذا جنون ، ولكنه جنون بأسلوب . (لهاملت) هل لك في ان تخرج من الهواء ، يا مولاي ؟

هاملت : إلى قبري ؟

بولونيوس (جانباً) : حقاً ذلك خارج عن الهواء . ما أملأ أجوبته في بعض الأحايين ! فيهـا براعة كثيراً ما تتفق للجنون وتعصى على العقل والمنطق . سأتركه وادبّر الامور للقاء بينه وبين ابنتي . (لهاملت) مولاي الكريم ، امنحني الاذن بالذهاب .

هاملت : لن تأخذ مني شيئاً بطيبة خاطر أشدّ ، إلا حياتي ، حياتي .

بولونيوس : استؤدعك الله يا مولاي .

هاملت : يا للعجائز الحُمْق الصقعاء ! (يدخل روزنكرانتز وغلدنسترن)

بولونيوس : أتبحثان عن الأمير هاملت ؟ انه هناك .

روزنكرانتز: حفظك الله يا سيدي . (يخرج بولونيوس)

غلدنسترن : سيدي النبيل !

روزنكرانتز: سيدي العزيز !

هاملت : أهلاً بالصديقين الطيبين! كيف حالك يا غلدنسترن، وأنت يا روزنكرانتز .

روزانكرانتز: كالسوية من ابناء الأرض .

غلدنسترن : اننا من السعداء ، لأننا لم نتجاوز مدى السعادة ، فنحن لسنا في القمة من قبعة ربّة الدهر .

هاملت : ولا في النعل من حذائها ؟

روزنكرانتز : لا هذا ولا ذاك يا مولاي .
هاملت : اذن فأنتما حول خصرها ، في وسط الهوى منها ؟
غلدنسترن : من أخصّائها السريين نحن ، يا سيدي .
هاملت : في الأعضاء السرية من ربة الدهر ؟ صدقت والله . إنها لمومس فاجرة . ما وراءكما من الاخبار ؟
روزنكرانتز: لا أخبار يا سيدي،سوى أن العالم قد أضحى شريفاً.
هاملت : اذن قريبٌ قيام الساعة . ولكن نبأكما ليس صادقاً . فلأحدد اسئلتي : ما الذي ، يا صديقيّ الكريمين ، اسأتما به الى إلهة الدهر حتى ارسلتكما الى هذا السجن ؟
غلدنسترن : السجن ، يا سيدي ؟
هاملت : الدانمرك سجن .
روزنكرانتز: اذن فالدنيا كلها سجن .
هاملت : سجن ممتاز ، فيه ردهات وزنازن وسراديب . والدانمرك من أسوأها .
روزنكرانتز: لا نظن ذلك يا سيدي .
هاملت : اذن ، فهي ليست سجناً لكما . لأن ما من حسن أو دميم إلا والظن يجعله كذلك : فبالنسبة إليّ، هذا البلد سجن .
روزنكرانتز: اذن طموحك يجعله كذلك . إنه أضيق من ان يفي بحاجة ذهنك .
هاملت : رباه ! بوسعي أن أحصر في قشرة جوزة ، وأعد نفسي ملك الرحاب التي لا تُحدّ — لولا انني أرى احلاماً مزعجة .

غلدنسترن : وهذه الاحلام هي الطموح . وما يحققه الطموح ليس إلا ظلاً من حلم .

هاملت : وما الحلم نفسه إلا ظل .

روزنكرانتز: بالضبط . والطموح في رأيي شيء هوائي جداً ، خفيف جداً ــ فهو ظل الظل ، ليس إلا .

هاملت : اذن فمتسولونا اجسام ، وملوكنا وابطالنا المستطالون ظلال المتسولين. انذهب الى البلاط ــلانني، والله ، عاجز عن المنطق والتعليل .

كلاهما : سنرافقك .

هاملت : لا ، ابداً . انني أرفض أن اخلطكما في البقية من خدمي . ولأقل لكما قول رجل شريف : انني مرافَق أرهب مرافقة . ولكن عليّ بسبيل الصداقة المطروق : ما الذي تفعلانه في ألسينور ؟

روزنكرانتز: جئنا لزيارتك ، لا لأي امر آخر .

هاملت : انا المعدم ، قد أعدمت حتى الشكر ! ولكنني اشكركما ، وشكري ، يا صاحبيّ ، أغلى من السعر السائد بفلسين . ألم يرسل احد في طلبكما ؟ أجئتما بارادة منكما ؟ ازيارة تلقائية هذه ؟ هيّا ، أعدلا معي . هيا ، هيا . تكلما .

غلدنسترن : ماذا تريد منا ان نقول يا سيدي ؟

هاملت : أيّ شيء . ولكن يجب الا نستطرد . لقد ارسل البعض في طلبكما : اكاد أرى اعترافاً بذلك في نظراتكما ، التي تعجز الطيبة فيكما عن تلوينها . اني اعرف أن الملك والملكة قد ارسلا في طلبكما .

روزنكرانتز: لأي غرض ؟

هاملت : لكي تعلّماني. غير اني استحلفكما بعشرتنا وانسجام الشباب فينا ، وواجب المحبة المقيمة بيننا ، وبحق كل عزيز قد يستحلفكما به متحدث ابرع مني: بصراحة وأمانة : هل ارسل احد في طلبكما ام لا ؟

روزنكرانتز (جانباً لزميله) : ماذا تقول ؟

هاملت (جانباً) : هذه «نعم» منكما ــ ان كنتما تحبانني، تكلما.

غلدنسترن : اجل يا سيدي . لقد ارسلوا في طلبنا .

هاملت : سأطلعكما على السبب ، فأكون بتوقّعي قد استبقت اكتشافكما ، ويظل الكتمان بينكما وبين الملك والملكة على حاله لا تنقصه ريشة واحدة. لقد فقدت مؤخراً ــ ولست ادري ما السبب ــ مرحي كله ، واعرضت عن كل رياضة اعتدُتها . وفي ذلك ، يقيناً ، وقرٌ على مزاجي . فهذه الأرض ، وهي هذا الهيكل البهيّ ، لا تبدو لعينيّ إلا كمرتفع مجدب عقيم ؛ والهواء ، هذا السرادق البديع الحسن ، انظرا ، هذه القبة الجميلة المعقودة فوقنا ، هذا السقف الضخم المرصّع بنار من ذهب، انه لا يبدو لعينيّ إلا كحشد من أبخرة كريهة تنبعث منها الاوبئة . والانسان ما اروع صنعه ! ما أنبله عقلاً، وما اقصى حدود قدرته ومواهبه! في الشكل والحركة ما أليقه وما اروعه ! في العمل ما أشبهه بالملائكة ! في الادراك ما اشبهه بالآلهة ! إنه زينة الدنيا ومَثَل الحيوانات الاكمل ... ومع ذلك

كله ، ما خلاصة التراب هـذه ؟ لا أجـد لذة في الانسان ، ولا في المرأة ايضاً ، وإن تبسّمتما كأنكما تقولان ذلك .

روزنكرانتز : سيدي ، لم يدر بخلدي شيء من هذا القبيل .

هاملت : لماذا ضحكتَ عندما قلتُ « لا أجد لذة في الانسان » ؟

روزنكرانتز : لأنني قلت لنفسي ، ان كنتَ لا تجد لذة في الانسان ، فلن نرحّب بفرقة الممثلين إلا أضأل الترحيب . لقد مررنا بهم وهم في طريقهم الى هـذا المكان ليكونوا في خدمتك .

هاملت : سأرحب بالذي يمثل دور الملك اجمل الترحيب ، ولسوف ينال مني الجزية والثناء . والفارس سيُعمل سيفه وترسه ، والعاشق لن يتنهد لوجه الله ، والمزاحي سينهي دوره بسلام ، والمهرّج سيُضحك كلاً من تتدغدغ رئتاه لأول لمسة ، والسيدة ستفصح دون تحفّظ عما في قلبها وإلا تكسر الشعر المرسل على لسانها . من هم هؤلاء الممثلون ؟

روزنكرانتز : انهم ذاتهم الذين كنت تجد لذة في تمثيلهم ــ فرقة تمثيل العاصمة .

هاملت : كيف اتفق انهم يتجولون اليوم ؟ ألم يكن من الافضل لهم ، من حيث الشهرة والربح معاً ، أن يقيموا في المدينة ؟

روزنكرانتز : اغلب الظن أن ما استحدث في عالم التمثيل مؤخراً

قد أضرّ بهم (*) .

هاملت : اما زالوا يتمتعون بما كان لهم من مكانة أيام إقامتي في المدينة ؟ ألهم اتباع كثيرون ؟

روزنكرانتز : لا والله . لقد تغيّر كل ذلك .

هاملت : لمَ يا ترى ؟ هل صدِئوا ؟

روزنكرانتز : كلا . ما زالت جهودهم على سابق نشاطها . غير أن هناك سرباً من الاطفال ، أشبه بفراخ العقبان ، ينعقون أعلى النعيق حيث لا يتطلب الدور ذلك ، وتصفق لهم الجماهير اعنف التصفيق . انهم الآن الطرز المرغوب فيه ، واذ راحوا يتحاملون على المسارح « العامة » (هـــذا ما يسمونها) ، جعل حتى حملة الاسياف يخشون ضربة القلم ، ويحجمون عن ارتيادها .

هاملت : أصبيةٌ يمثـــلون ؟ من ذا الذي ينظمهم ، ويدفع أجورهم ؟ وهل ، في ابتغـائهم جودة التمثيل ، لا يتعدون الغناء ؟ او لن يقولوا فيا بعد ، حين يكبرون ليصبحوا من ممثلي الفرق العامة ــ وهذا ما لا بد منه ان لم تتحسن حالهم ــ ان كتّابهم يظلمونهم بجعلهم يتهجمون على ما سوف يتحتّم عليهم هم انفسهم ان يصبحوه ؟

روزنكرانتز : لقد جرى بين الفريقين أمر كثير ، والنـــاس لا يتورعون عن إثارة المشادّة بينهم . وقد مرّت فترة

(*) يشير شكسبير في هذا القسم من « هاملت » ، بكثير من السخرية ، الى وضع فرق التمثيل وأساليبها والصراع بينها في زمنه .

لم يكن أحد يقدم فيها مالاً لقاء أي مسرحية دون ان ينتهي الشاعر والممثلون الى الضرب واللكم حول هذا الموضوع .

هاملت : أممكن ذلك ؟

غلدنسترن : لقد جرى صراع كثير بين الادمغة .

هاملت : وهل يخرج الصبية مظفّرين من هذا الصراع ؟

روزنكرانتز: اي والله ، في كل مكان .

هاملت : ليس هذا بغريب . فعمي الآن ملك الدانمرك ، ولذا ترى ان الذين كانوا يكشرون له ساخرين أيام حياة أبي ، يدفعون اليوم عشرين ، بل أربعين ، بل مئة « دوكة » ، لقاء صورة صغيرة له . إن في ذلك والله ما يتجاوز حد الطبيعة ، ليت الفلسفة تكشف لنا عن كنهه .

(نفير ابواق من الداخل)

غلدنسترن : ها هم الممثلون هناك .

هاملت : أهلاً وسهلاً بكما في ألسينور. لنتصافح. فالترحيب عادة ومراسيم . ولأتبع الأصول معكما على هذا الغرار لئلا يبدو لطفي مع الممثلين — وعليّ ان ابدي لهم اللطف ظاهراً — ترحاباً أكثر من لطفي معكما . أهلا ومرحباً . غير ان عمي — أبي ، وأمي — امرأة عمي ، كليهما مخدوع .

غلدنسترن : بماذا ، يا مولاي .

هاملت : لست مجنوناً الا باتجاه الريح شمالَ شمالِ غرب : أما اذا اتجهت جنوباً فانني اميز الصقر عن الكركي .

(يدخل بولونيوس)

بولونيوس : السلام عليكم ايها السادة .

هاملت : اصغ يا غلدنسترن ، وأنتَ ايضاً ــ على كل اذنٍ سامع : ذلك الطفل الكبير الذي تبصرانه هناك ، لم يخرج بعد من قماطه .

روزنكرانتز: لعله عاد الى القماط من جديد . يقولون ان الشيخ يمر في طفولتين .

هاملت : سأتنبأ ! لقد جاء ليخبرني عن الممثلين . أستمعا ! كلامك صحيح يا سيدي . كان الأمر كذلك حقاً صباح يوم الاثنين .

بولونيوس : مولاي ، جئتك بخبر .

هاملت : مولاي ، جئتك بخبر . عندما كان روسكيوس ممثلاً في روما ــ

بولونيوس : لقد حضر الممثلون يا مولاي .

هاملت : بس ، بس !

بولونيوس : بشرفي !

هاملت : اذن (مغنياً) « قدم الممثلون على الحميرِ (*) ــ

بولونيوس : ابرع الممثلين في العالم. انهم يجيدون المأساة، والملهاة، والمسرحيات التاريخية ، والريفية ، والريفية الهزلية، والريفية التاريخية ، والمأساوية التاريخية ، والريفية التاريخية الهزلية المأساوية ، كما يجيدون تمثيل المشهد اللاّيجزأ والقصيدة اللاّتـحد. لا يتصعّبون سِنيكا، ولا

(*) من اغنية معاصرة لشكسبير .

يستهينون بلاوطوس ، وسواءٌ لديهم مــا تقيد
بقوانين الكتابة وما تحرّ ز منها . إنهم وحدهم الممثلون .

هاملت (مغنياً) : « يا يفتـاحُ ، يا قاضي اليهود ، يا عظيم
الكنز لديك ... »

بولونيوس : ما الذي كان لديه من كنز يا مولاي ؟

هاملت : « ابنةٌ حسناءُ ، لا غيرها ،
أحبها حتى العبادة . »

بولونيوس (جانباً) : ما زال بابنتي .

هاملت : ألست محقاً ، يا يفتاح العجوز ؟

بولونيوس : ان كنت تدعوني بيفتاح ، فان لي ابنـة احبها حتى
العبادة .

هاملت : هذا لا يتبع ذاك .

بولونيوس : ما الذي يتبعه اذن ، يا مولاي .

هاملت : انت تعرف :
فاسمعوا يا قوم ، والله أعلم
ثم :
« هذا ما صار ، والله ارحم . »
ومطلـع الترتيلة ينبئك بذلك وأكثر . واذا نظرت
هنا ، وجدت من جاؤا للملهاتي .
(يدخل ممثلون أربعة او خمسة)
أهلاً بالسادة ، أهلاً بـكم جميعاً . يسرني ان اراك
بخير وعافية . اهلاً بالصحب الطيبين . آه ، يا صديقي
القـــديم . أطرْتَ وجهك بلحية منذ ان رأيتك
اخيراً . وانت يا سيدتي الفتية (*) ، لقـد دنوت

(*) كانت ادوار النساء يقوم بها الاولاد قبل ان تغلظ المراهقة اصواتهم .

من السماء منذ ان رأيتك اخيراً بمقدار كعب عال . ارجو الا يكون صوتك قد تصدّع كدينار ذهب ضاعت قيمته . مرحباً بكم ايها السادة . علينا بها كالفرنسيين من ذوي الصقور ، يصيدون اول ما يلوح لهم ، مهما يكن . أَذ يقوني فنكم . عليّ بخطاب جيّاش ملتهب .

المثل الاول: اي خطاب يا مولاي ؟

هاملت : سمعتك مرة تلقي خطاباً لم يُمثّل قط ، او اذا مثلتموه ، فلم تمثلوه اكثر من مرة ، لأن المسرحية التي اذكرها لم ترق للملايين . لقد كانت كالكفيار للعوام . غير انها كانت في رأيي ، وفي رأي البعض الذين كان في حُكمهم ترداد لما اقول ، مسرحية رائعة ، حسنة التنسيق في المشاهد ، فيها اعتدال بقدر ما فيها براعة . واذكر ان أحدهم قال ، ليس في ابياتها من التوابل ما يجعل مضمونها حرّيف المذاق ، ولا في عبارتها ما يدفعنا الى اتهام المؤلف بالتحذلق ، فهي في اسلوبها الامين نقية عذبة ، جميلة دون تبرج . وقد كانت فيها عبارة اعجبت بها اكثر من غيرها ، وهي حكاية اينياس لديْدُونه ، لا سيما عندما يتحدث اينياس عن ابنة فريام . فاذا ما كنت تذكرها ، ابدأ عند هذا البيت ـ دعني اتذكر . . . :

« وفرهوس العتيّ ، كوحش فرغانه » (*)

(*) جعل شكسبير هذه القطعة في اسلوب المبالغة والتهويل الذي كان متبعاً في مسرحيات الفرقة التي تنافس فرقته .

لا ، لا ، انها تبدأ بفرهوس ــ آ :

« وفرهوس العتيّ ، وسلاحه الفاحم

كاسوداد القصد منه ، كان كالليل مضطجعاً

في الجوف من حصان الشؤم (*) ،

فراح الآن يلطخ سود القسمات من محيّاه الرهيب

بشارة اشد شؤماً بكثير .

من فرعه حتى القدم

راح بالدم القاني يتزين ، يا لهولي !

بدم الآباء والامهات ، والبنين والبنات ،

طلاءً كالقشرة السميكة في الطرقات اللاهبه ،

لتُلقيَ ضوء اللعنة والجور على

شنيع مصرعهم ،

وهم طعمةٌ للنار والغضب ،

وفرهوس الجهنمي هذا ، بالدم المخثر مكتسياً

وعيناه كالجمرتين ، راح يبحث عن

سيد القوم ، فريام العجوز . »

بولونيوس : أحسنتَ والله نطقاً وإلقاءً واعتدالاً ، يا سيدي .

الممثل الاول : « وسرعان ما يلقاه

يضرب الاغريق ولا يصيب ،

سيفه العتيق ــ مستقرٌ حيثما وقع ــ

متمرداً على الذراع ، وعاصياً كل أمر .

فيهجم فرهوس على فريام ، خصمين غير متكافئين ،

(*) حصان طروادة الخشبي .

ويضرب ضربة غضبى لا تصيب ،
غير أن الشيخ الواهن العصب
من هبة الريح من سيفه الضاري ، يقع ،
وعندها كأنما « إيليوم » (*) في بحرانها قد شعرت
بالضربة تلك ، تزعزعت هاماتها المشتعلات
منهارة على الاسس ، آسرةً
أذنَ فريامَ بالصوت الرهيب .
واذا بسيف فرهوس ، وهو يهوي
على رأس فريامَ المسنّ ، يعصى في الفضاء .
وهكذا، كتمثالِ طاغيةٍ ، يجمد فرهوس في مكانه،
وكالمحايد بين جسمه والارادة
لا يأتي حراكاً .
وكما في وسط العواصف قد نرى
صمتاً في السماء ، وسكوناً في السحب ،
وقد خرست هوج الرياح ، والارض أصابها
هجعةٌ كالموت : واذا الرعد المزمزم
يمزّق الفضاء ثانيةً ، هكذا ، بعد وقفة فرهوس ،
هزّه الغضب من جديد للعمل ،
واذا حتى سكلوب نفسه لم يضرب بمطرقته
درعَ مارسِ الابدي صلابةً
بعتوٍّ لا رحمة فيه كما
ضرب فرهوس بسيفه الدامي رأس فريام .

(*) قصر فريام ، ملك طروادة .

الا اخسأي يا ربة الدهر الفاجرة !
ايتها الآلهة اجتمعي وجرّدي السطوة عنها ،
كسّري الاعواد والاطار من دولابها (*)
ودحرجي الطوق على منحدر السماء لينتهي
الى الشياطين في أدنى حضيض . »

بولونيوس : طويلة ــ اكثر مما ينبغي .

هاملت : سنرسلهـا الى الحلاق ، مع لحيتك . (الى الممثل) استمر ، ارجوك . فهذا الرجـل لا تروق له إلا اغاني الهزل او حكايات الفجور ، وإلا فانه ينام في الحال . استمر ، وصِلْ الى هكيوبه .(*)

الممثل الاول: « ولكن من ذا الذي ، يا ويلتاه ، من ذا الذي رأى الملكة المتلفلفة ــ »

هاملت : « الملكة المتلفلفة » ؟

بولونيوس : بليغة ! « الملكة المتلفلفة » عبارة بليغة .

الممثل : « وهي حافيـة القدمين تركض ذات اليمـين وذات الشمال ،

تهدد النار بالدمع الضرير ،
وعلى رأسها حيث كان التاج يوماً يتلألأ ،
خرقة بالية ، وحول الحقوين الضامرين المنهك خصبهما
بدل الجلباب دثارٌ وقعت عليه يداهـا في غمرة الخوف المفاجىء .
لو رأى امرؤ ذاك لصاح مغموس اللسان في السم

(*) تصور ربة الدهر كامرأة معصوبة العينين تدير دولاب الحظوظ .
(*) زوجة فريام .

بربة الدهر وجورها : يا للخيانة !
بل لو رآها عند ذاك الآلهة ،
وهي تبصر فرهوس يلهو حاقداً
بإعمال السيف في اوصال زوجها ،
وسمعوا انفجارها بعالي الندب والنواح
(إن تهزّهم ابداً أوصاب البشر)
لقطّروا الدمع من محاجر السماء المتأججة
واترعوا الصدر من كل إله حزناً عليها وأسى . »

بولونيوس : انظر كيف حوّل لونه وملأ عينيه بالدمع! أرجوك، كفى ، كفى .

هاملت : عظيم ! سأطلب اليك أن تلقي البقية عن قريب . (الى بولونيوس) سيدي ، أحسن وفادة الممثلين واقامتهم ، أتسمع ، وعاملهم خير معاملة . انهم خلاصة العصر وموجز تاريخه . خير لك ان يكتب على قبرك بالسوء بعد موتك ، من ان يذكروك هم بالسوء في حياتك .

بولونيوس : سيدي ، سأعاملهم بموجب استحقاقهم .

هاملت : بل أفضل ، قاتلك الله يا رجل ، لو عاملت كل امرىء بموجب استحقاقه ، من ينجو من الجلد بالسياط ؟ عاملهم حسب نبلك انت ومنزلتك . فكلما قلّ استحقاقهم ، زاد الفضل في كرمك . خذهم معك .

بولونيوس : تفضلوا يا سادة .

هاملت : اتبعوه ايها الصحب . غــداً نستمع الى احــدى مسرحياتـكم .

(يخرج بولونيوس والممثلون الا واحداً)

أتسمعني ياصاح؟ ابوسعكم تمثيل «مصرع غونزاغو»؟

الممثل الاول : نعم يا مولاي .

هاملت : فلتمثلوها اذن مساء غد . أتستطيع ، اذا اقتضى الأمر ، ان تحفظ عن ظهر قلب عشرة أبيــات او خمسة عشر ، سأكتبها لتقحمها في دورك ؟

الممثل الاول : نعم يا مولاي .

هاملت : حسناً اتبع ذلك السيد ، واياك ان تهزأ بــه . (يخرج الممثل) سأترككما يا صديقيّ حتى المساء . اهلاً بكما في ألسينور .

روزنكرانتز : في امان الله ، يا سيدي .

هاملت : في أمان الله وحفظه !

(يخرج روزنكرانتز وغلدنسترن)

أي نذل انا ، أي عبد قروي !
أليس من العار علي ان هذا الممثل ،
في رواية من الخيال ، في حلم من الألم ،
يُكره روحه على تلبس وهمه
فتحتدم ، ويشحب منه المحيّا بأجمعه ؟
الدموع في عينيه ، والهياج في قسماته ،
وصوته يتكسر ويتهدج ، وكل وظيفة في جسمه
تتلبّس ذلك الوهم... وذلك كله من اجل لا شيء؟

من أجل هكيوبه !
وما لهكيوبه عنده ، أو ُه عند هكيوبه ،
فيبكي هكذا من أجلها ؟ وما الذي ترى كان فاعله
لو أن لديه من دافع وحافز الى الألم المُمِض ّ
ما لدي انا ؟ لأغرقَ والله ، المسرح بالدمع ،
وشق ّ الاسماع برهيب الكلام ،
ولدفع الآثمين الى الجنون ، وارعب الابرياء ،
وَشدَهَ الجهلاء ، وارهب حقّاً
حتى الآذان والعيون نفسها .
ورغم ذلك ، فانني
انا الحقير البليد ، من الوحْل لحمتي وُسداي
أسترق النظر ، كالأبله الحالم ، غير مليء بحوافزي
غير قادر على النطق بشيء ــ حتى ولا من اجل ملك
دبروا لمُلكه وغالي حياته شر هزيمة . أجبان انا ؟
من يسمّيني بالوغد ؟ يشجّ القحف من رأسي ؟
ينتف لحيتي ويقذف في وجهي بها ؟
يدعك انفي ، يرد الاكذوبة الى حلقي
او تستقر في رئتيّ ؟ من يفعل ذلك بي ؟
هـا ؟
ولكن ، عليّ بالرضوخ . كبدي ان هي إلا
كبد الحمامة ، ولا مرارة فيّ
لأجعل ضغطي علقماً ، وإلا لكنت
سمّنتُ كل حدأة في الفضاء

بأمعاء هذا العبد الرقيق ، هذا النذل المجرم الخليع ،
هذا النذل الفاجر الخائن الذي
خرج على سنن الطبيعة ولا ضمير له بين الضلوع .
ألا أيها الانتقام !
ولكن يا لي من حمار ! أجل ، ما أجمل صنعي ،
انا ابن ذاك القتيل الحبيب ،
انا الذي السماء تحثني ، والجحيم ايضاً ، على الثأر ،
افضّ ما بقلبي كالمومسات ألفاظاً
وأروح اشتم كالبغيّ .
دنيء وضيع !
اف ! هلم ، يا دماغ !
لقد سمعت ان المجرمين اذ يجلسون في المسرح
تفعل براعة المشهد في نفوسهم
فعلا فاتكا ، واذا هم على الفور يفصحون عن سوء
ما صنعوا .
فالقتل، وان يكن عديم اللسان ، لا بد ان ينطق يوماً
بلسان خارق العجب .
سأجعل هؤلاء الممثلين يمثلون شيئاً يشبه قتل أبي
أمام عمي . وسأرقب حينئذ ملامحه ،
دخيلته سأخرقهـا حتى الحشاشة ، واذا بدرت منه
ولو جفلة واحدة .
عرفت نهجي معه . ان الروح التي رأيتها
قد تكون شيطاناً ، وللشيطان قدرة

على تقمص المظهر السارّ ـ أجل ، ولعله
لضعفي وسوداويتي
ولسطوته باستخدام أرواح كهذه ،
يخدعني ليجرّ بي الى التهلكة . عليّ اذن بحجج
أشد تماسكاً من هذه . المسرحية هي الشيء
الذي سأقبض به على ضمير الملك !

الفصل الثالث

المشهد الأول

غرفة في القلعة . يدخل الملك ، والملكة ، وبولونيوس ، واوفيليـــا ، وروزنكرانتز ، وغلدنسترن .

الملــك : أَوَلا تستطيعان باللف والمداورة
أن تستعلما منه السبب في هذا الاضطراب ،
مالئاً ، ويا للقساوة ، ايام راحته كلها
بالبلاهة الهوجاء الخطرة ؟

روزنكرانتز: انه يعترف بأنه يشعر باضطراب نفسه ،
أما السبب فيرفض الخوض فيه .

غلدنسترن : ولا نرى فيه اي تقبُّل لتقصي امره ،
فاذا أردنا استدراجه للاعتراف بطرف
من حالته الحقيقية ، صدّنا عنه
بجنون فيه حيلة وبراعة .

الملكة : هل أحسن استقبالكما ؟

روزنكرانتز: اجل ، كما هو خليق بالنبيل .

غلدنسترن : ولكن مع الكثير من التكلف .

روزنكرانتز: قليل السؤال ولكن على ما سألناه
طليق الجواب .

الملكة : هل حاولتم إشراكه في ملهاة او تسلية ؟

روزنكرانتز: لقد اتفق يا سيدتي أننا في طريقنا
مررنا بفرقة من الممثلين ، فلما أخبرناه عنهم
بدا عليه ضرب من الفرح
لسماعه النبأ . وهم الآن في البلاط
وأغلب الظن انهم قد أمروا
بالتمثيل هذه الليلة في حضرته .

بولونيوس : صحيح وأيم الحق .
وقد رجاني أن ألتمس الى جلالتكم
ان تسمعوا وتشاهدوا ما سوف يمثلون .

الملـــك : بكل طيبة خاطر ، وانه ليسرني جداً
أن اعرف عن هذا التوق فيه .
أرجو ، ايها السيدان ، أن تشحذا فيه هذا التوق
وتوجّها همّه نحو متعات كهذه .

روزنكرانتز: سنفعل يا مولاي .

(يخرج روزنكرانتز وغلدنسترن)

الملـــك : وانت ايضاً ، يا حلوتي غرترود ، اتركينا ،
فقد ارسلنا حثيثاً في طلب هاملت
لكي يلتقي هنا بأوفيليا وجهاً لوجه ،
وكأنه التقاء صدفة .

كلانا ، أنا وأبوها ، رَصَدٌ شرعي ،
وسنختبيء بحيث نَرى ولا نُرى
فنحكم بصراحة من اللقاء بينهما
ونستنتج منه ومن تصرفه
اذا كان ما يعانيه على هذا النحو
هو سقام الحب أم لا .

الملكة : أنا طوع أمرك .
أما أنت يا اوفيليا ، فلشد ما أرجو
أن تكون محاسنك هي السبب الطيّب
في جنّة هاملت ، وكذا آمل أيضاً ان ترده
فضائلك الى الطريق السويّ
لما فيه شرف لكليكما .

اوفيليا : سيدتي ، أسألُ الله ذلك .

(تخرج الملكة)

بولونيوس : اوفيليا ، تمشّي هنا . وتفضلوا جلالتكم
ولنختبيء . اقرأي في كتاب الصلوات هذا
لعل القراءة تضفي على انفرادك
اللون المطلوب . ما أشد ما نلام بمثل هذا ،
وكثيراً ما ثبت اننا بمظهر الورع
والفعل التقيّ ، نُلبس حتى الشيطان نفسه
رداءً من الحلاوة .

الملك (جانباً) : ما اصدق ذلك !
وما آلم ما يلسع هذا القول ضميري بالسوط !

ليس خدُّ البغيّ المجمّلُ بالطلاء
أقبحَ لِمَا يجمله
من فعلي أنا لأشدّ ألفاظي طلاءً
يا لعبئي الثقيل !

بولونيوس : اسمعه قادماً . فلننسحب يا مولاي (يخرجان ليختبئا وراء إحدى الستائر)

(يدخل هاملت)

هاملت : أأكون أم لا أكون؟ ذلك هو السؤال .
أمن الأنبل للنفس ان يصبر المرء على
مقاليع الدهر اللئيم وسهامه
أم يُشهرَ السلاح على بحر من الهموم ،
وبصدها ينهيها ؟ نموت ... ننام ..
وما من شيء بعد ... انقول بهذه النومة ننهي
لوعة القلب ، وآلاف الصدمات التي
من الطبيعة تعرض لهذا الجسد ؟ تلك غايةٌ
ما احرّ ما تُشتهى . نموت ... ننام ..
ننام — واذا حلمنا ؟ أجل لعمري ، هناك العقبة .
فما قد نراه في سبات الموت من رؤى ،
وقد القينا بفانيات التلافيف هذه عنا ،
يوقفنا للتروي .
ذلك ما يجعل طامةً من حياة طويلة كهذه .
وإلا فمن ذا الذي يقبل صاغراً سياط الزمان
ومهاناته ،
ويرضخ لظلم المستبد،ويسكت عن زراية المتغطرس،

واوجاع الهوى المردود على نفسه، ومماطلات القضاء
وصلافة أولي المناصب ، والازدراء الذي
يلقاه ذو الجدارة والجلد من كل من لا خير فيه ،
لو كان في مقدوره تسديد حسابه
بخنجر مسلول ؟ من منّا يتحمل عبْأه الباهظ
لاهثاً ، يعرق تحت وقرٍ من الحياة ،
لولا أن الخوف من أمرٍ قد يلي الموت ،
ذلك القطر المجهول الذي من وراء حدوده
لا يعود مسافر ، يثبّط الارادة فينا
ويجعلنا نؤثر تحمل المكروه الذي نعرفُهُ
على الهرب منه الى المكروه الذي لا نعرُفه ؟
الا هكذا يجعل التأمل منّا جبناء جميعاً ،
وما في العزم من لون أصيل يكتسي
بصفرة عليلة من التوجّس والقلق ،
ومشاريع الوزن والشأن ينثني
مجراها اعوجاجاً بذلك ،
وتفقد اسم الفعل والتنفيذ .
رويدك الآن !
اوفيليا الجميلة ! ايتها الحورية ، اذكري
في صلواتك خطاياي كلّها .

اوفيليا : سيدي العزيز ،
كيف كنتم في الايام العديدة الأخيرة ؟

هاملت : اشكر لك لطفك . بخير . بخير . بخير .

اوفيليا : سيدي ، لديّ هبات منك

تقت منذ زمن الى ردّها .

هلاّ اخذتها .

هاملت : لا ، لا ، لم أعطك شيئاً قط .

اوفيليا : سيدي المبجّل ، لقد اعطيتنيها

مرفقةً بعبارات دُبجت بشذيّ النَفَس

فزاد قَدْرُها . ولكن عطرها قد ضاع

تخذها ثانية . ثمين الهدايا ، للنفس الأبيّة ،

يبخس قدرها حين ينقلب مهديها .

هاك ، يا سيدي .

هاملت : ها ، ها ! أعفيفة أنت ؟

اوفيليا : سيدي !

هاملت : أجميلة أنت ؟

اوفيليا : ماذا تعني يا سيدي ؟

هاملت : أعني إن كنت عفيفة وجميلة معاً، وجب على عفافك ان يجعل الوصول الى جمالك محرّماً .

اوفيليا : وهل للجمال يا سيدي ما يتعاطاه خير من العفاف ؟

هاملت : بالضبط . للجمال قدرة على تحويل العفاف الى الفجور، أشد ما للعفاف من قدرة على قلب الجمال إلى صورته. كان هذا القول يوماً من الاضداد ، ولكن عصرنا هذا قد مدّه بالبرهان . كنت أحبك يوماً .

اوفيليا : يقينا يا سيدي ، لقد حملتني على اعتقاد ذلك .

هاملت : كان عليك ألا تصدّقيني . فالفضيلة لا تطعّم جذعنا القديم إلا ويظلّ فينا شيء من مذاقه . ما أحببتك قط .

اوفيليا : اذن فقد خُدِعت .

هاملت : اذهبي الى دير وترهبي*. أتريدين أن تلدي الخطاة؟ أنا نفسي على قدر من العفة ، ولكن بوسعي رغم ذلك أن أتهم نفسي بأمور هي من الإثم ما يجعل أمي تتمنى لو لم تكن ولدتني . اني شديد الكبرياء ، حقود الثأر ، عنيد الطموح ، ورهن اشارتي من الآثام ما يعجز فكري عن حصره ، وخيالي عن تحديد شكله ، ووقتي عن تنفيذه . فما الذي يترتب على الذين مثلي ان يفعلوه اذ يزحفون بين السماء والأرض ؟ كلنا انذال واوغاد . إياك أن تصدقي واحداً منا . اذهبي وترهبي . أين أبوك ** ؟

اوفيليا : في البيت يا سيدي .

هاملت : فليغلق المصاريع على نفسه ، لكي لا يلعب دور الأبله المأفون إلا في بيته . وداعاً .

اوفيليا (جانباً) : أعينيه ، ايتها السماوات الخيّرة !

هاملت : ان كنت ستتزوجين ، أعطيتك مهراً هذا الوباء .

---

* في عهد شكسبير كان « دير الراهبات » يعني ايضا تورية ، المبغى . والتورية هنا ظاهرة .

* يعلق جي . بي . هاريسون على هذا بقوله : « ان هذا المشهد كله بين هاملت واوفيليا مما يحيّر النقاد ويقلقهم . ولعل تأويله من البساطة بمكان . عندما تصد اوفيليا ، بأمر من أبيها عشيقها هاملت ، من الطبيعي أن يخطر له أول ما يخطر أن رجلاً آخر يخطب ودها ، ويبدو له ان شكه ذلك يتحقق عندما ترد عليه هداياه . واذ يحتدم في كلامه ، يلاحظ حركة في الستارة فيدرك ان وراءها من يسترق السمع اليها . فيقول : « اين ابوك ؟ » فتجيب اوفيليا كاذبة : « في البيت يا سيدي . » اذن ، يعتقد هاملت ، ليس وراء الستارة إلا العشيق . ومن هنا تشتد مرارة خطابه : لقد اظهرت اوفيليا ، كما أظهرت أمه من قبل ، ما في طبيعة المرأة من فساد وانحلال . »

لن تنجي من المذُمة ولو كنت عفيفة كالجليد ، نقية
كالثلج . اذهبي الى دير وترهبي . اذهبي . وداعاً .
او ان كان لا بد لك من الزواج ، فتزوجي أحد
البلهاء . ان العقلاء ليعلمون تمام العلم أي بهائم تجعلن
انتنّ منهم . الى الدير اذهبي ، وأسرعي . وداعاً .

اوفيليا (جانباً) : يا قوى السماء ، أعيديه الى رشده !

هاملت : لقد سمعت الكثير عن أصباغكن وطلائكن .
وهبكن الله وجهاً ، وتجعلن لكنّ وجهاً آخر .
ترقصن ، وتتكسرن ، وتلثغن ، وتلقبن مخلوقات
الله باسماء من عندكن ، وتجعلن للخلاعة حجة من
جهلكن . عني بكنّ ، لا أريد منكن شيئاً بعد —
انه ليُجنني . أتسمعين ، فلنمنع الزواج ! أما
المتزوجات سابقاً ، فكلهن سيبقين على قيد الحياة
الا واحدة ، وتبقى الاخريات على حالهن . عليك
بالدير . اذهبي !

(يخرج هاملت)

اوفيليا : لهفي على عقل رفيع قد هوى !
من النبلاء لسانهم ، ومن الجند سيفهم ، ومن
العلماء عينهم ،
زهرة الدولة اليانعة ومطمحها ،
مرآة الذوق والاناقة ، قالب الأدب ،
ملتقى الابصار كلها قد هوى وتحطم .
وأنا ، أبأس النساء وأتعسهن ،
أنا التي رشفت العسل الدي في وعوده المنغّمة ،

أرى الآن ذلك الذهن الكريم الرفيع
يرنّ كأجراس تجلجل نشازاً منكراً ،
وذلك الشبابَ الفاغمَ الذي لا صنو لصورته
تكسر عودَه يدُ الجنون . يا ويلتاه
لما رأيت ، يا ويلتاه لما أرى !

(يدخل الملك وبولونيوس)

الملك : الحب ؟ عواطفه لا تنحو ذلك المنحى ،
وأقواله ، وان يكن يعوزها شيء من السبك ،
لا تشبه الجنون . في روحه شيء
قعدت عليه كآبته قعود الطير
وإني لاخشى ان ما سيفقس لن يكون
إلا ضرباً من الخطر . ومنعاً لهذا الخطر
قررتُ بأسرع الحزم معالجة الامر .
عليه بالذهاب حثيثاً الى انكلترا
لمطالبتها بدفع ما أهملناه من جزية .
فلعل البحار واختلاف الامصار
وتباين المشاهد تنفي عن قلبه
هذه المادة التي استقرت في شغافه ،
والتي إذ يرفّ عليها دماغه دون وقفة
تقصيه عن مألوف نفسه . فما رأيك ؟

بولونيوس : لا بأس . بيد اني ما زلت موقناً
ان منبت الاصل والبداية في حزنه
هو الحب المهمل . والآن يا اوفيليا ،
لا حاجة لإعادة ما قاله الامير هاملت ،

فقد سمعنا كل شيء . افعلوا ما بدا لكم يا سيدي ،
ولكن أرجو ، إذا استنسبتم ، بعد المسرحية ،
أن تجعلوا الملكة أمه تختلي به وتتوسل اليه
ان يفصح عن شكواه . ولتصارحه القول ،
وسأضع نفسي ، ان كنتم توافقون ، على مسمعٍ
مما يدور بينهما . فاذا لم تكتشف ما فيه ،
ارسلوه الى انكلترا ، او احجروا عليه
حيثما تستصوب حكمتكم .

الملـــك : سأفعل ذلك .
الجنون في العظماء لا بد له من رقباء .

المشهد الثـــاني

قاعة في القلعـــة

يدخل هاملت مع اثنين او ثلاثة من الممثلين

هاملت : أرجوك * ان تلقي العبارة كما قرأتها لك ، كأنها
تقفز خفة على لسانك . اما ان كنت ستتشدّق بها ،
كما يفعل معظم الممثلين ، فخيرٌ لي ان أطلب الى
دلاّل المدينة ان يتلو ابياتي هذه . ولا تنشر الهواء
نشراً بيـــدك ، هكذا ، بل ترفّق بالقول . لأن

* نجد هنا رأي شكسبير في فن التمثيل ، وهو يمتدح طريقة فرقته في مسرح الـ « غلوب » ، ويذمّ التنطع في القول والمبالغة في الايماء اللذين عرف بهما ممثلو الفرق الاخرى .

عليك حتى في دفق العاطفة وعَصْفها، بل وإعصارها، ان تدرك وتولّد اعتدالاً يضفي عليها النعومة والسلاسة . لشد ما يسوؤني ان اسمع غلاماً مستعار القحف والشعر يصطخب ويمزّق العاطفة مزَقاً وخِرقاً بالية، ليشقّ آذان الحائشة(*) من المشاهدين، وهم الذين على الاغلب لا يفقهون من التمثيل الا العرض الصامت والجعجعة . بوسعي والله ان آمر بجلد ممثلٍ كهذا يتعدى « الطَّرمَغان ** » في هوله ، وهيرودس** في هيروديته. ارجوك ان تتجنب ذلك.

المثل : سأفعل يا سيدي .

هاملت : كما أرجوك ألاّ تبالغ بالإلفة واللين . فلتكن فطنتك استاذك . لأنم الكلمة حركتَها ، والحركة كلمتَها ، متقيداً بهذا الشرط : وهو الا تتخطّى حشمة الطبيعة . فكل مبالغة في القول والحركة انما هي نابية عن غاية التمثيل ، وما هذه الغاية منذ البدء حتى اليوم ، الا اشبه باقامة المرآة امام الطبيعة ، لكي تعكس للفضيلة محيّاها ، وللزراية صورتَها ، ولجسد العصر والمجتمع شكلَه وأثره . فهذا إن اسرفت فيه وهوّلت ، او تباطأت فيه وضاءلت ، قد يُضحك غير العارفين ، ولكنه يؤسف ذوي

---

* groundlings ، وهم الذين يقفون متزاحمين في حوش المسرح ، وقد دفعوا للدخول مبلغ بنس واحد .

** من شخصيات المسرحيات السائدة يومئذ ، المعروفة بعنفها ونارياتها . وكان « الطرمغان » ، في معتقد العوام ، من آلهة العرب !

الفهم والذوق . وحُكم هؤلاء يجب ان يغلب في تقديرك على مسرح غاصٍّ بالآخرين . لقد رأيت ممثلين يمثلون ويُمدحون أرفع المدح ، ولكنهم ، ولا اريد القـذع في القول ، لا ينطقون نطق البشر ، وليست مشيتهم بمشية المؤمنين ولا الكافرين ، حتى حسبت ان أجراء الطبيعـة ــ لا الطبيعة نفسها ــ يصنعون البشر ، فلا يُحسنون الصنع ، لسوء ما يقلدون الانسانية .

المثل الاول : آمل يا سيدي اننا قد اصلحنا ذلك في انفسنا اصلاحاً لا بأس به .

هاملت : بل عليكم ان تصلحوه اصلاحاً تاماً . ونبّهوا الذين يمثلون ادوار المهرّجين ألا يقولوا إلا ما دُوّن لهم للقول . لأن منهم فئة تضحك من تلقاء نفسها، لكي يضحك لها عدد من النظّارة الاغبياء، بينما المسرحية فيها امر غير الضحك يجب الالتفات اليه . إنني استقبح ذلك ، وهو انما يدل على طموح حقير في المهرّج الذي يفعله . إذهبوا وتهيأوا .

(يخرج الممثلون)

(يدخل بولونيوس ، وروزنكرانتز ، وغلدنسترن)

ها يا سيدي ، اقادم الملك لسماع هذه المسرحية ؟

بولونيوس : نعم ، وكذلك الملكة . وسيحضران حالاً .

هاملت : اذن مُرِ الممثلين بالاسراع .

(يخرج بولونيوس)

وهلاّ ساعدتماهم انتما ايضاً على الاسراع ؟

كلاهما : لك ما شئت يا سيدي . (يخرجان)

(يدخل هوراشيو)

هاملت : أين أنت يا هوارشيو ؟

هوراشيو : هنا يا سيدي العزيز ، في خدمتك .

هاملت : هوراشيو ، لن أجد من هو اكثر صدقاً منك وأمانة
مهما شاركت الناس احاديثهم .

هوراشيو : سيدي العزيز !

هاملت : لا ، لا تظنني اتملقك ،
وهل أطمع في ترقية منك ، انت الذي
لا مال لديك سوى حسن الطوية ،
لطعامك وكسائك ؟ وهل من يبغي تملّق الفقير ؟
لا ، انما دع اللسانَ المُحلَّى يلحس فوارغ الابهة
ولتنثنِ مفاصل الركب المتلهفات
حيثما الكسب يلحق بالنفاق . أتسمع ؟
منذ ان اضحت نفسي الابية سيدة في خيارها ،
عليمة بالتمييز بين الرجال ، اصطفتك انت لها .
فأنت كمن يعاني كل شيء ، فلا يعاني أي شيء ،
لطماتُ الدهر وهباته تتقبلها
شاكراً على السواء . طوبى للذين
امتزجت فيهم نار الدم برجاحة العقل
فما عادوا كالناي تحت أصابع ربة الدهر
تعزف بهم ما تشاء . اعطني امرأً
ليس عبداً لشهوته ، أضَعْهُ
في حبة قلبي ، في القلب من قلبي ،

كما وضعتك أنت . حسبي هذا القَدْر .
سيمثلون مسرحية امام الملك هذه الليلة .
وفيها مشهد يقارب الحدث الذي
اخبرتك عنه ــ بشأن موت ابي .
فعندما ترى ذلك الفصل قد بدأ ،
أرجوك ان ترقب عمي
وتُشرك حتى الروح منك في الملاحظة .
فاذا لم ينسرح جرمه الخبيء عند عبارة معينة ،
لن يكون ما رأيناه الا طيفاً لعيناً ،
وما أنا الا ملوّث الاوهام ،
كأنما اوهامي محددةُ « ڤولكان * » . شدّد عليه الرقابة ،
اما انا فسوف امسمر عينيّ في وجهه ،
وبعد ذلك نجمع بين حكمك وحكمي
لتقييم ما يبدو عليه .

هوراشيو : حسناً يا سيدي . ووالله
لو اختلس شيئاً والمسرحية جارية
ولم تفضحه عيني ، تكلفت انا بما اختلس !

هاملت : انهم قادمون للمسرحية . فعليّ بالتسكع .
اذهب وجد لك مكاناً .

[موسيقى مسيرة دانمركية . يدخل الملك والملكة ، وبولونيوس ، واوفيليا ، وروزنكرانتز ، وغلدنسترن ، وآخرون من البطانة ، وافراد من الحرس يحملون المشاعل . صدح ابواق ودق طبول .]

---

* إله الصواعق ، وهو أعرج يصنع الصواعق في محدنه .

الملك : كيف أمورك ، يا ابن أخي ؟

هاملت : ممتازة والله ! طعامي طعام الحرباء : آكل من الهواء محشواً بالوعود . حتى الدجـــاج يتعذر إطعامه بمثل ذلك .

الملك : اني انكر هذا الجواب يا هاملت . هـذه الكلمات ليست لي .

هاملت : ولا لي . (لبولونيوس) والآن يا سيـدي ، قلتَ انك كنت تمثل فيما مضى ، أيام كنت في الجامعة ؟

بولونيوس : اجل يا مولاي ، وكنت أعدّ من خيرة الممثلين .

هاملت : ماذا مثلت ؟

بولونيوس : مثلت يوليوس قيصر . وقُتلت في الكـــابيتول . قتلني بروتس .

هاملت : بربرية منه أن يبقر عجلاً رائعاً مثلك. هل الممثلون مستعدون ؟

روزنكرانتز: نعم يا مولاي . انهم في انتظار لطفك .

الملكة : تعال هنا ، عزيزي هاملت ، واجلس بقربي .

هاملت : لا يا أماه . هنا معدن أشد جاذبية .

بولونيوس : ها ، الحظتم ذلك ؟

هاملت : سيدتي ، أأضطجع في حضنك ؟

اوفيليا : كلا يا مولاي .

هاملت : أعني ، ورأسي على حضنك ؟

اوفيليا : نعم يا مولاي .

هاملت : أظننتِني أعني ضجوعاً ؟ ماذا ظننت ؟

اوفيليا : لا شيء .

هاملت : ما أجمله ظناً مضجعه بين سيقان الفتيات .

اوفيليا : ما ذلك يا مولاي ؟

هاملت : لا شيء .

اوفيليا : انك مرح يا مولاي .

هاملت : من ؟ أنا ؟

اوفيليا : نعم يا مولاي .

هاملت : رباه ! ما أنا الا رقّاصك الماجن . ما الذي بوسع المرء ان يفعل الا المرح ؟ انظري كيف ينضح وجه أمي بالبِشْر والفرح ، ولما يمرّ على موت ابي ساعتان .

اوفيليا : بل أشهرٌ اربعة يا مولاي .

هاملت : أهذا الردح الطويل ؟ اذن فليلبس الشيطان سواد الحِداد ، وعليّ أنا بجبة الشيوخ . يا للسماء ! أيموت منذ شهرين ولا يُنسى ؟ اذن ما زال ثمة أمل في أن العظيم من الرجال قد تحيا ذكراه بعد وفاته لنصف سنة من الزمن . ولكن عليه أن يشيّد الكنائس ، والا وجب عليه ان يتحمل نسيانَ القومِ له نسيانهم حصانَ الملاهي المستعار ، الذي نقش على قبره (مغنياً) : « واحسرتاه على حصانٍ مستعارٍ ، هجروه و َنسُوه * ... »

[عزف مزامير . يبدأ العرض الصامت . يدخل ملك

* من أغنية معاصرة . اقتبس الانكليز عن العرب في الاندلس رقصةً كان يلبس فيها الراقص شكل حصان ويأتي بحركات فاحشة ، وفي أيام شكسبير صدر أمر بمنع استعمال هذا « الحصان المستعار » في تلك الرقصة .

وملكة وهما يتغازلان ويتعانقان . تركع هي وتومىء بعشقها واخلاصها له . فيُنهضها ويسند رأسه على عنقها ، ثم يضطجع على أرض كلها زهور . وعندما تراه قد غرق في النوم ، تتركه . وفي الحال يدخل رجل ينزع التاج عن رأسه ، ويقبّل التاج ، ويصب السمّ في أذني « الملك » ، ويخرج . تعود « الملكة » وتجد أن « الملك » قد مات ، فتأتي بحركات الالم والفجيعة . ثم يدخل صاحب السم ثانية ومعه اثنتان او ثلاث من الندابات ، ويتظاهرون بالنواح معها . تحمل جثة الميت الى الخارج ، ويخطب صاحب السم ودّ « الملكة » بالهدايا . تبدو أنها تُعرض عنه لفترة وجيزة ، ولكنها في النهاية تقبل حبه . يخرجان .]

اوفيليا : ما معنى هذا يا مولاي ؟

هاملت : تلصص ٌ متلصص معناه الأذى .

اوفيليا : لعل في هذا العرض فحوى المسرحية ؟

هاملت : سنعرف من هؤلاء القوم . فالممثلون لا يحفظون سراً ، ويبوحون بكل شيء

اوفيليا : وهل سيخبرنا أحدهم بمعنى هذا العرض ؟

هاملت : نعم ، وكل عرض آخر تعرضينه له . لا تتورّعي عن العرض ، لا يتورعْ عن البَوْح بمعناه .

اوفيليا : ماجن ، أنت ماجن ! سأنتبه الى المسرحية .

(يدخل البرولوغ)

البرولوغ : حِلْمَكُمُ يا سادتي
للّطفِ منكمْ نضرعُ
مأساتَنا هذي اسمعوا .

(يخرج)

هاملت : أمقدمةٌ هذه ، أم نقش العشاق في الخواتم ؟

اوفيليا : انها قصيرة يا مولاي .

هاملت : كحب المرأة .

(يدخل ممثلان ، هما ملك وملكة)

ممثل الملك : عربة الشمس العسجديةُ دارت
عشرين كرةً ثم عشرا *
حول عباب نبتون المرير
وأرضِ طلّوسَ الكروية ،
والقمر قد دار بلألاء مُعار
ثلاثين اثنتي عشرة مرّةً حول الدُّنى ،
منذ ان جمع الهوى بين قلبينا ،
وهايمن ** جمع بين يدينا ،
برباطه الحلو المقدّس .

ممثلة الملكة : ألا جعلتنا الشمس وكذا القمر
نعد عداً مماثلاً من دوران كليهما
قبل ان يقضي فينا حبُّنا .
ولكن ، لَهْفَ قلبي ! أراك مريضاً
متنائياً عن سابق عهدك والمرحْ ،
فأقلقتني . ولكنْ ذا القلق ،
مولاي ، لا عَرفتهُ نفسُك ،

---

* يقصد ان يقول : « لقد مضى على زواجنا ثلاثون عاماً . » شكسبير هنا يعارض معارضة ساخرة اسلوب المسرحيات الشائعة في أوائل عصر اليزابث. وهو اسلوب مليء بالتضخيم والتقعر ، وقد قلّد به الشعراء الانكليز حينئذ مآسي الفيلسوف الروماني سِنيكا .

** رب الزواج .

بل دعه لي . ففي النساء الخوفُ والحبُّ
إسرافاً وشحاً يتناسبان :
هوايَ خبرْتَه مني بالتجاربْ ،
وبقدْر الهوى خوفي ولهفي .
ففي عظيم الحب ضئيلُ الشك خوفٌ ،
وحيثما ضئيلُ الخوف ينمو
نما هناك الحب العظيم .

ممثل الملك : راحلٌ أنا ، حبيبتي ، عما قريب .
وهنت قواي وعن مهماتها قد عجزتْ .
وأنتِ في هذه الدنيا الجميلة سوف تبقين
عزيزة ، اثيرةً ، ولعلكِ
زوجاً كريماً مثليَ يوماً —

ممثلة الملكة : قاتل الله البقية !
حبٌّ كذاك خيانةٌ بين الضلوع .
فلتنزل اللعناتُ بي
إن انا زُففت ثانيةً لرجلْ .
لا تتزوجُ ثانياً الا التي
بيديها زوجَها الاول قتلت .

هاملت : علقمٌ ، علقم !

ممثلة الملكة : ولا يدفع المرأةَ إلى الزواج ثانيةً
إلا الطمع الدنيءُ ، لا الهيام .
قسماً سأقتل زوجي في المرة الثانية
اذ يقبلني زوجيَ الثاني في الفراش !

ممثل الملك : مؤمن انا بانك تعقلين الآن ما تقولين ،

لكنّنا كثيراً ما نقرر امراً ثم نحنث به :
ما العزم الا عبد الذاكرة ،
عنيف المولد لكن ضئيل النفاذ ،
يـعْلَـق الآن بالغصن كفجّ الفاكهة ،
ليسقط عند النُّضج طوعاً دونما هزّ .
لا بد ان ننسى ما لانفسنا
من دَيْنٍ حقّ تسديدُه ،
وما نقطع على النفس من عهد في الحُمـيّا
بانقضاء الحميّا يفقد عزمه .
والمفرط من حزن او فرح
يُفسد التنفيذ على كليهما ،
وحيثما الافراح غالت
ناح الاسى نوحاً اشد ،
فالحزن يفرح ، والافراح تأسى
لأوهى سبب .
ما هذه الدنيا بباقية ، وما بغريب
أن يتبدل حتى حبُّنا بصروف الزمن .
هل الحبُّ يقتاد الزمان ، أم الزمانُ الحب ؟
سؤالٌ ذاك ما انفكّ يبغي جوابنا .
انْ هوى الرجل العظيم حَسبْنا عليه
ما دنا منه حتى من ذباب ،
والحقير اذا علا ، انقلب العدو صديقاً له ،
فالحب من خدم الزمان ،
ومن لا يعرف العوز لن يُعوِزَه الصديق

ومن يختبر في الفاقة خِلاً اجوف
في الحال يجدْ فيه عدوّه .
ولكن عليّ بالختام منظماً حيث بدأت :
فينا الإرادةُ والمصيرُ على نقيضْ ،
وكل حيلة تُغلب دوماً على أمرها ،
فإن تكن أفكارنا مُلْكاً لنا ،
غاياتها ليست طوعاً لنا .
ولذا ان تظني انك ثانيةً لن تتزوجي
فظنك ماتٌ حالما يموت بعلك الاول .

ممثلة الملكة : لا وجد في الأرضِ غذاءً
ولا نوراً في السماء
وليحجب اللهوَ والراحةَ عني الليلُ وكذا النهار ،
ولينقلب يأساً رجائي والاملْ ،
وليكن أقصى مداي كفافُ الناسك في سجنه
وليدمّر عدوُّه اللذة والمرح
كلَّ ما طيباً قد أشتهيه ،
ولأبقَ طريدةَ النزاعِ المقيم هنا ، وإلى الأبد ،
ان أنا بعد الترّمل قبِلت زوجاً ثانياً .

هاملت : واذا حنثتْ بذلك الآن ؟

ممثل الملك : غليظة أيمانك يا حلوتي ! دعيني هنا برهةً —
نفسي نفسي متعبة ، وبوديَ أن
أزجي نهاريَ المضني بالكرى .
(ينام)

ممثلة الملكة : هدهدَ النومُ قُواكَ المتعبه ،

لاحلّ مكروهٌ بيننا !

(تخرج)

هاملت : أماه ، اتروق لك المسرحية ؟

الملكة : ان السيدة تسرف في التأكيد فيما أرى .

هاملت : ولكنها ستقيم على عهدها .

الملك : أسمعتَ الخلاصة ؟ أفيها ما يسيء ؟

هاملت : ابداً ، أبـــداً . كلامهما مزاح ، وسمهما مزاح ، لا اساءة فيها مطلقاً .

الملك : ما عنوان المسرحية ؟

هاملت : المصيدة . وكيف ذلك ؟ تصيـــداً وكنايةً . ان المسرحية صورة لجريمة وقعت في ڤينا . غونزاغو اسم الدوق ، وزوجته بابتِستْا . سترى الآن . انها فعلة لئيمة : ولكن ما همنا ؟ فجلالتكم انتم ونحن الذين نتمتع بأنفس حرة ، لن تمسنا . لئن تجفلِ الفرس المحزوزة القفا ، فــان طليق المنكب بعيد عن الاذى .

(يدخل لوسيانوس)

هذا لوسيانوس ، ابن أخي الملك .

اوفيليـا : انك معقب بارع يا مولاي .

هاملت : لكنت استطيع التفسير * بينك وبـين عشيقك ، لو رأيت الدُّمى تتغازل .

اوفيليـا : انك حاذق ، يا مولاي ، حاذق .

---

* كان « المفسّر » يجلس على خشبة المسرح في « عرض الدمى » « القراقوز » ليفسر للجمهور وينطق بالجوار .

هاملت : ستتكبدين أنيناً ان أردت ازالة حدّتي .

اوفيليا : أفضل وأسوأ ، بعد !

هاملت : ولذا تتخذن ازواجاً ! ابدأ ايها القاتل . لُعنتَ ، عنك بغمزك ولمزك القبيحين ، وابدأ ! عليك بها ، ان الغراب الناعق لىزعق في طلب الثأر !

لوسيانوس : سوداء نيتي ، وطيّعة يـدي ، والعقّار ناجع ، والساعة مؤاتية .
وما غيرُ الزمان المتآمرِ من عينٍ ترى .
يا مزيجاً خبيثاً ، عصارةَ أعشاب الليل البهيم ،
يا لعينَ «هِكاتي»* ، يا مثلث الادواء والصعَقاتِ
أنزِل طبيعيّ سحرِك وفاتِكَ قوتِك
في هذا الحيّ السليم ، حالاً ، على الفور !

(يصب السمّ في اذنيه)

هاملت : يسمّه في حديقته من أجل مُلكه . اسمه غونزاغو ، والقصة موجودة ، مدونة بلغة ايطاليـة جميلة . وسترون الآن كيف ينـال القاتل حب زوجة غونزاغو .

اوفيليا : لقد نهض الملك !

هاملت : ماذا ، أأفزعته نار كاذبة ؟

الملكة : كيف حال سيدي ؟

بولونيوس : أوقفوا المسرحية !

الملـك : أنيروا لي الطريق ! هيّا !

---

* إلهة السحر والسحرة .

الجميع : انوار ، انوار ، أنوار !

(يخرج الجميع فيما عدا هاملت وهوراشيو)

هاملت (يغني) : فدع الجريح من الظبا في دمعه

ودع اللعوب من الظبا متفرّدا

هل اوقف الاكوان في دورانها

ذاك الذي عنها التهى او سُهـّدا

اذا انقلب الزمان عليّ الن أحصل بهذا ، وبغابة من الريش ، مع وردتين من ورود بروفانس على حذائي المخططين، على حصة شريك في احدى فرق التمثيل؟

هوراشيو : بل نصف سهم * .

هاملت : ليّ سهم كامل أنا . (يغني)

يا عزيز القلب تدري أننا

قد سُلبنا ربّنا

وغدا يحكمنا في ارضنا

طاووس زنيم ؟

هوراشيو : ليتك قفّيت !

هاملت : عزيزي هوراشيو ، الف دينار لما قاله الطيف .. ألاحظت ؟

هوراشيو : جيداً جداً يا سيدي .

هاملت : عند الكلام عن السم ؟

هوراشيو : رأيته بأشد وضوح .

« يدخل روزنكرانتز وغلدنسترن »

* كان الممثلون في عصر شكسبير ينالون حصصاً من الريع ، ولا يتقاضون رواتب .

هاملت : آ ، ها ! علينا بموسيقى . علينا بالمزامير .
ان لم ترق للملك ملهاتنا
فلعلها اذن لم ترق له والله !
علينا بموسيقى !
غلدنسترن : مولاي الكريم ، اتسمح لي بكلمة ؟
هاملت : بل يا سيدي بتاريخ كامل .
غلدنسترن : الملك ، يا سيدي —
هاملت : نعم ، يا سيدي ، ما به ؟
غلدنسترن : اوى الى حجرته شديد الاضطراب .
هاملت : سكراً ، يا سيدي ؟
غلدنسترن : لا يا مولاي ، بل حنقاً .
هاملت : لكنتم اغزر حكمةً لو اطلعتم طبيبه على ذلك
لانني ان قمت انا بتطهيره، ربما انغمر في حنق اشد
غلدنسترن : ارجوك يا مولاي الكريم ان تصوغ كلامك في
شكل ما ، ولا تنأ بهذه الضراوة عن قصدي لديك.
هاملت : إني أليف يا سيدي . انطق .
غلدنسترن : لقد ارسلتني الملكة امك اليك ، ونفسها في عذاب
شديد .
هاملت : اهلاً وسهلاً .
غلدنسترن : ليس هذا اللطف يا مولاي من الضرب الصحيح .
فان كنت ستتكرم عليّ بجواب سليم ، صدعتُ
بأمر امك ، وإلا ، فان في عفوك وعودتي نهايةً
لمهمتي .
هاملت : سيدي ، لا استطيع .

غلدنسترن : ماذا يا مولاي ؟

هاملت : ان اقابلك بجواب سليم . عقلي ممروض . الا ان الجواب الذي استطيعه ، يا سيدي ، لك ان تأمر به — او بالاحرى ، كما قلت ، لأمي ان تأمر به . فلا استطراد اذن عن الموضوع . تقول ان امي —

روزنكرانتز: هذا اذن ما تقوله : لقد ادهشها سلوكك وأذهلها .

هاملت : يا لك من ابن عجيب أذهلتَ أمّاً هكذا ! ولكن أما من لاحق على عقب دهشة الام هذه ؟

روزنكرانتز: انها تود الحديث اليك في حجرتها ، قبل ان تأوي الى فراشك .

هاملت : سنُطيع ولو كانت عشر مرات أمنا . ألديكما شأن آخر معنا ؟

روزنكرانتز: مولاي ، كنت فيما مضى تحبني .

هاملت : وما ازال ، وحق هاتين الناشلتين السارقتين (مشيراً الى يديه)

روزنكرانتز: مولاي الكريم ، ما السبب في اضطرابك ؟ انك ولا ريب توصد باب حريتك على نفسك ان انت حجبت اشجانك عن صديقك .

هاملت : لقد حُرِمتُ الترقية يا سيدي .

روزنكرانتز: كيف يكون ذلك ، وقد وعدك الملك بنفسه بأنك التالي لعرش الدانمرك ؟

هاملت : أجل ولكن ، الى ان يطلع الحشيش — مثل قديم كاد يعفن .

(يدخل رجل بمزمار)

آ ، المزمار ! افتح الطريق . لماذا تلاحقني في اتجاه الريح كأنك تريد ان تدفع بي الى الشَرَك ؟

غلدنسترن : مولاي ان اكن قد تطاولت بواجبي ، فإن حبي اعمق من كل ادب .

هاملت : لست أحسن فهم ذلك. أتود ان تعزف على هذا الناي؟

غلدنسترن : لا استطيع ذلك يا مولاي .

هاملت : أرجوك .

غلدنسترن : صدقني ، لا استطيع .

هاملت : اني اتوسل اليك .

غلدنسترن : لا اعرف كيف يُمسَك ، يا مولاي .

هاملت : سهل عزفه كالكذب. تحكّم بهذه الفتحات باصبعك وابهامك ، انفخ فيه بفمك ، تجدْه ينطقُ بأفصح الموسيقى . انظر ، هذه مفاتيح النغم .

غلدنسترن : ولكنني لا استطيع ان استنطقها ، لأنني لا اعرف هذا الفن .

هاملت : أترى اذن كيف تهدر انت الآن كرامتي ؟ انك تريد التظاهر بانك تعرف مفاتيحي . انك تريد اقتلاع القلب من غوامضي . انك تريد استخراج مكنوني من اخفض نغمة فيّ الى القمة من مداي . وفي هذه الآلة الصغيرة الكثير من الموسيقى والصوت الشجي ، ومع ذلك لا تستطيع استنطاقها . لِمَ تحسب أن العزف عليّ اسهل من العزف على هذا الناي ؟ سمّني ما شئت من آلة ، لن تستطيع العزف

عليّ ، مهما جسستني وأثرتني .

(يدخل بولونيوس)

كان الله بعونك يا سيدي !

بولونيوس : مولاي ، تريد الملكة الحديث اليك ـ وفي الحال .

هاملت : أترى تلك السحابة التي تكاد تشبه الجمل شكلاً ؟

بولونيوس : والقربان ، انها حقاً كالجمل .

هاملت : أظن انها كابن عِرْس ؟

بولونيوس : ظهرُها كابن عرس .

هاملت : او كالحوت ؟

بولونيوس : كالحوت تماماً .

هاملت : اذن سأجيء الى أمي ، بعد قليل . يعبثون بي الى أقصى مِنزَعي ! سأجيء بعد قليل .

بولونيوس : سأقول لها ذلك .

(يخرج)

هاملت : ما أسهل قول « بعد قليـــل » ! دعوني وحدي ايها الصحب .

(يخرجون كلهم ، الا هاملت)

هـذا من الليل هزيع السِحْر ،
ساعةَ تفغر المقابر افواهها ، وينفث الجحيم
في هذه الدنيا الوباء . لعمري بوسعي الآن
ان اشرب الدماء جارةً وآتي من رهيب الفعل
ما يرتعد النهار لرؤيته !.. على رِسلك ـ الى امي .
ايها القلب لا تتخلَّ عن سويّ طبيعتك . اياك أن

تفسح لروح نيرون * طريقاً الى صدري الصامد هذا.
فلأكن قاسياً ، لا شاذّ الطبيعة .
سأكلمها خناجر ، أما خنجراً فلن أمسّ .
وليناقق لساني وروحي بهذا ،
فمهما عنّفتها الفاظاً بلساني ،
إياكِ يا نفس تنفيذاً لها أن تُقرّي !

المشهد الثالث

في إحدى حجرات القلعة

يدخل الملك وروزنكرانتز وغلدنسترن

الملـــك : إنه لا يروق لي ، وليس مأمونَ العواقب لدينا
ان نترك الحبل لجنونه على الغارب . ولذا تهيآا :
سأرسل اوراق تفويضكما في الحال ،
وعليه ان يرافقكما الى انكلترا .
ان ظروف ُملكنا قد لا تتحمل
خطراً مفعماً بمحاذير كالتي تنبثق عن
جنونياته كلّ ساعة .

غلدنسترن : سنأخذ نحن العدة لذلك .
انه لقلق ايماني مقدّس
أن تُبقيَ في أمن وطمأنينة هذه الكثرةَ الوفيرة
التي تحيا وتقتات على جلالتكم .

---

* أمر نيرون بقتل أمه « أغر بينا » وكانت قد سمت زوجها .

روزنكرانتز: إن يتحتّمْ على الحياة الذاتية الواحدة
ان تدفع عن نفسها الاذى بكل ما اوتي الذهن
من قوة وسلاح ، فكم بالحريّ اذن
تلك النفس التي على سلامتها تعتمد
حياة الكثيرين . اذا ما جلالة اُلملْك قضت
فإنها لا تموت وحدها ، بل كالدوامة تجرف معها
كل ما حولها . مَثَلُها مَثَلُ دولاب جسيم
رُكّب في القمة من أعلى جبل ،
وقد ارتبطت وثُبّتت بأشعته الضخام
صغار الأشياء بآلافها :
فإمّا هوى ، هوى بسقطته القاصفة
كل ما اقترن به من خاملٍ وصغير .
ما تنهّد الملك يوماً ، إلا وأنّ الشعبُ بأجمعه .

الملــك : استعدا ، ارجوكما ، لهذه السفرة المستعجلة ،
لأن هذا القلق السائر الآن طليق القدمين
سنغله ونقيده .

كلاهمــا : ولسوف نسرع .

(يخرجان ويدخل بولونيوس)

بولونيوس : مولاي ، انه ذاهب الى غرفة أمّه .
سأقبع وراء الستارة
لاسمع ما يجري . لا ريب أنها ستشتد بزجره ،
وكما قلتم ، ونعم القول قولكم ،
يُستحسن أن يكون هناك غير الأم
لاستراق السمع عن كثب ،

اذ من طبيعة الامهات التحيّز .
وداعاً يا مولاي . سأعود اليكم قبل أن تناموا
لأروي لكم ما أعرفه .

الملـك : شكراً يا نبيلي العزيز .

(يخرج بولونيوس)

آه ما انتن إثمي ! بلغت ريحه حتى السماء ،
وعليه حطت أولى اللعنات وأقدمها ـــ
قتل أخ لاخيه . لقد عجزت عن الصلاة .
ومهما تهالكتُ وأردتها ،
فان قويّ عزمي يُقهَر بجرمي الاقوى ،
وكالملتزم فعلين اثنين
أقف بينهما متردداً أيهما اشرع اولاً
فأهمل كليهما . لئن غدت هذه اليد اللعينة
أثخن من نفسها بدماء أخي ،
فليس في عذب السماء ما يكفي من مطر
لغسلها بيضاء كالثلج ؟ ما الرحمة ان لم
تقابل فعلة الآثم وجهاً لوجه ؟
وهل في الصلاة إلا هذه القوة المزدوجة ،
لايقافنا حين نوشك على السقوط
او عفو نا ان سقطنا ؟ إذن قرّي يا نفس ،
زالت هفوتي . ولكن ايّ لون من الصلاة
يستطيع الوفاء بحاجتي؟ «إغفر لي جريمتي النكراء» ..
مستحيل ذاك وفي حوزتي لما يزل
كلُّ ما اقترفت القتل من أجله :

تاجي ، مطمحي أنا ، والملكة .
أينال المرء مغفرةً والإثم طيّ إهابه ؟
في هذه الدنيا ومجاريها الملوثة
قد تدفع يدُ الإثمِ المذهبةُ عنها حُكمَ العدالة ،
وغالباً ما نرى جنيَ الجريمة نفسهُ
يشتري الشريعة والقانون . غير أن الامر ليس
كذلك في السماء .
لا تملّص هناك . هناك تبقى الفعلة باديةً
على ما هي ، ونُقسر نحن
إزاء العبوس من أخطائنا
على تقديم الافادة . ماذا اذن ؟ ما الذي تبقّى ؟
أن نجرّبَ ما يسع الندم . ما الذي ليس بوسعه ؟
بل ما الذي بوسعه والمرء عاجز عن الندم ؟
يا للبوس ! أسود أنت يا صدرُ كالموت !
وانك يا نفساً مضادة ، كلما كافحت لتنطلقي
زاد الفخ إطباقاً عليك . عوناً ايتها الملائكة !
جرّب ! خرّي يا ركبتي العنيدة ،
وأنت يا قلباً عروقه من حديد ،
كن طرياً كالعضلات من طفل وليد .
لعلّه خير .

(يركع ويصلي فيدخل هاملت)

هاملت : بإمكاني الآن أن أفعلها ، كذا ، وهو يصلي ،
وسأفعلها الآن ــ ويذهب هكذا الى السماء ،
فأكون قد انتقمت ؟ ــ فلأمحص الامر .

نذل يقتل أبي غيلةً ، ولذا فإني ،
أنا ابنه الوحيد ، ارسل هذا النذل
الى السماء .
لكان ذلك خدمةً ومكافأة ، لا انتقاماً .
لقد اتى أبي غرةً ، وهو مليء بخبزه ،
وخطاياه مفتحة الأكمام كلها ، محمرّة كخدّ ايار ،
ولا يعلم حسابه الاخير إلا الله .
ولكن ان نقيسْه على احوالنا ومجرى ظنوننا ،
فإنه حساب عسير ولا ريب . افأكون انتقمت
ان أنا فاجأته وهو يطهّر روحه ،
وهو في خير أوانٍ للرحيل ؟
كلا !
الى غمدك يا سيف . ولتعرف مني قبضةً أرهب هولاً
حين أراه ثملاً ، او نائماً ، او في سورة من غضبه ،
او في لذة الفحشاء من فراشه ،
او منهمكاً في القمار او الشتم ، او أي فعل
لا مذاق للخلاص فيه :
عندها إهوِ به أرضاً لترفس عقباه السماء
حين تكون الروح بين جنبيه سوداء لعينةً
كجهنم التي هي مثواه الأخير ... أمي تنتظر .
لا يطيل هذا الدواء الا الموبوء من أيامك
(يخرج هاملت)

الملـــك : تنطلق الفاظي الى العُلى ، وفي الحضيض تظل افكاري :
ما بلغت السماءَ قطُّ الفاظٌ خلت من أفكارها .

المشهد الرابع

حجرة أخرى في القلعة

تدخل الملكة وبولونيوس

بولونيوس : انه قادم في الحال . شدّدي عليه ،
أخبريه بأن الأعيبه أفضح من ان تطاق ،
وان جلالتك سترتِ عليه ووقفت حائلة
دونه ودون غيظ كثير . سأمسك عن القول هنا
أرجوك أن تصارحيه

هاملت (من الداخل) : أماه ، اماه ، اماه !

الملكة : لا تـَخـَفْ عليّ . انسحب . اسمعه قادماً .

(يختبىء بولونيوس وراء الستارة)

(يدخل هاملت)

هاملت : ها يا أماه ، ما الامر ؟

الملكة : هاملت ، لقد اسأتَ كثيراً الى ابيك .

هاملت : أماه ، لقد أسأتِ كثيراً الى أبي .

الملكة : انك تجيب بلسان الهذر واللغو .

هاملت : انك تسألين بلسان الهذر واللغو .

الملكة : ما بك الآن يا هاملت ؟

هاملت : وما القضية الآن ؟

الملكة : أنسيتني ؟

هاملت : لا والصليب لم أنسَك !
انت الملكة ، زوجة أخي زوجك ،
ويا ليتك لم تكوني . انت أمي .

الملكة : اذن خير لي أن اسلط عليك من يستطيع الكلام

(تهم بالخروج ، فيوقفها هاملت عنوة)

هاملت : هدئي روعك ، واجلسي . لا تتزحزحي .
لا تذهبي الى ان أقيم لك مرآة
ترين فيها أعمق أعماق نفسك .

الملكة : ما الذي تريد ان تفعل ؟ اتقتلني ؟
النجدة يا ناس ، النجدة !

بولونيوس (من وراء الستارة) : يا ناس النجدة ، النجدة !

هاملت (شاهراً سيفه) ما هذا ؟ أجرذ ؟ ميت ، ميت بدرهم

(يضرب ضربة نافذة خلال الستارة)

بولونيوس (من وراء الستارة) : آه قتلني !

(يقع ارضاً ويموت)

الملكة : يا ويلتاه ! ماذا صنعت ؟

هاملت : لست أدري . أهو الملك ؟

الملكة : يا للفعلة الدموية الهوجاء !

هاملت : فعلة دموية تكاد يا أماه بسوئها
توازي قتلَ ملكٍ وزواجاً من أخيه .

الملكة : قتلَ ملك ؟

هاملت : أجل ، سيدتي ، تلك كلمتي . (يزيح الستارة)
(مخاطباً جثة بولونيوس) وأنت يا مأفوناً شقياً
أقحم نفسه طيشاً — الوداع .
حسبتك سيدك : خذ نصيبك .
أرأيت الخطر في شغل نفسك بشؤون غيرك ؟

(لأمه) كفاكِ عصراً ليديك ! اهدأي ، واجلسي .
دعيني اعصر قلبك ، لانني سأعصره
ان كان مصنوعاً من مادة تُخترق ،
ان لم يكن كل لعين ألِفتِه قد كساه نحاساً
يصونه عن الاحساس والمشاعر .

الملكة : ما الذي فعلتُ لتتجرأ باطلاق لسانك عليّ
بهذا القول الوقح ؟

هاملت : فعلاً يفسد على الطُّهر الحشمة والحياء ،
ويدعو الفضيلة نفاقاً ، ويأخذ الحب البريء
لينزع الوردة من وضّاء جبينه
ويزرع فيه دملةً من الصديد،ويجعل من عهود الزواج
أكاذيب كأيمان المقامرين . إنها فعلة
تجتث الروح من بدن القران
وتجعل العذب من شعائر الدين
الفاظاً جوفاء لا غير . السماء تحمرّ وجنتاها ،
وهذه الكتلة المركّبة الجامدة *
يطفح وجهها كمداً كمن شارف الدينونة ،
وتمرض فكراً لهذه الفعلة الشنعاء .

الملكة : ويحي ، أية فعلة هذه التي
تزأر هذا الزئير وترعد هذا الرعد من مطلعها ؟

هاملت : انظري الى هذه الصورة ** ، والى هذه ،

---

* يقصد بها الأرض .

** يحمل هاملت حول عنقه صورة أبيه ، وتحمل الملكة حول عنقها صورة كلوديوس : هذا هو التقليد المسرحي بشأن هـذه العبارة . ولكن من المحتمل ان تكون على الجدار صورة لكل من الاخوين .

حيث الوجود المموّه لأخوين اثنين .
أترين الى البهاء المستقر على هذا الجبين —
خصلات شعرِ هايبيريون ، وجبهة جوبيتر نفسه ،
عينٍ خُلقت للأمر والنذير كعين مارس ،
ووقفةٍ كوقفة رسول الآلهة
وقد حطّ للتو على تلّ يقبّل السماء .
انه مزيجٌ لقوام بدا
كأن كل إله بخاتمه قد وسمه
ليؤكد للدنيا ان فيها من هو حقاً رجل .
هذا كان زوجك . انظري الآن ما يلي .
هذا هو زوجك ، كسنبلة عفنة ،
يرزأ سليم انفاسه . ألك عينان ؟
أتمسكين عن الرعي في هذا الجبل الجميل
لتسمني على هذه القاع البوار ؟ هـا ؟ الك عينان ؟
ليس لك أن تسمي ذلك حبّاً : ففي سنك هـذه
عنفوان الدم خاملٌ متضع
يأتمر بما تحكمين . وأي حُكْمٍ ينصرف
عن هذا ، الى هذا ؟ لا بد ان لديك حساً
والا لما استطعت النزوة ، ولكنه ولا ريب حسّ
مفلوج ، لأن الجنون ، اجل حتى الجنون لا يشط
ولا الحس يستعبده الهَوَج المخبول
إلا ويُبقي على شيء من قدرة الخيار
يُعملها في مثل هذه الفوارق . اي شيطان

غرّر بك معصوبة العينين ؟
اي امرىء له عينان دون احساس ،
او احساس دون بصر ،
او اذنان دون يدين او عينين ، أو شمٌ دون شيء
سوى درهم عليل من الحسّ السليم ،
يأتي رعونةً خرقاء كهذه ؟
يا للعار ، أين حياؤك ؟ يا جهنم المتمردة ،
إن تستطيعي ثورةً في عظام امرأةٍ نَصَف
فتؤججي فيها الشباب ، اجعلي من الفضيلة شمعاً
يُصهر في نارها . ولا تنادي بالعار والثبور
اذا ما الشبقُ الأهوج أطلق الشرر ،
فهذا الجليد نفسه يحتدم اشتعالاً
وهذا العقل يقوّد للارادة !

الملكة : كفى بربك يا هاملت !
انك لتسدّد عينيّ الى اعماق نفسي
فأرى هناك بُقعا سوداءَ عميقةً
لن تفارق لونها .

هاملت : وتحيَيْنْ في العَرَق النتن من فراشٍ غضين
في فورةٍ من الفُحش ـــ تتعسلين وتضاجعين
في الزريبة القذرة ـــ

الملكة : كفاك كفاك ،
الفاظك هذه كالخناجر تنفذ في أذنيّ ـــ
كفاك يا حُلوِيَ هاملت .

هاملت : قاتلٌ ، ووغد .

عبدٌ ليس بعشر معشار
سيدك السابق . أضحوكةٌ لا ملك ،
لص من لصوص السؤدد والحكم
اختلس من الرفّ تاجاً غالياً
ودسّه في جيبه .

الملكة : كفى ، كفى .

(يدخل الطيف)

هاملت : ملكٌ من مِزَقٍ ورُقع .
خلاصاً يا حَرَسَ السماء ! رِفوا بأجنحتكم عليّ !
ما الذي يبغيه شكلك الكريم ؟

الملكة : مجنون ، يا ويلتاه !

هاملت : أما جئتَ تعنّف ابنك المتواني الذي
راح يضيّع الوقت وينشغل بالعواطف
عن اللجّ في تنفيذ أمرك الرهيب ؟
بربك قل لي .

الطيف : لا تنسَ ! ما هذه الزيارة الا
لشحذ عزمك الذي كاد يُفلّ .
ولكن انظر ، اقتعد الذهولُ أمّك .
فاخطُ بينها وبين نفسها المنازعة ــ
فالوهم قويّ الفعل في البدن الضعيف .
خاطبها يا هاملت .

هاملت : كيف حالك يا سيدتي ؟

الملكة : واأسفاه ، كيف حالك انت ؟
تركز عينك في الفراغ

وتناقش الهواء الذي لا جسد له .
روحك تطل ّ هوجاء َ من عينيك ،
وكالجنود النو ّم يفاجأون بالانذار
شعرك الراقد يستفيق وينتصب .
بُني ّ العزيز
رش ّ برد الصبر على لهيب اضطرابك .
ما الذي تنظر اليه ؟

هاملت : اليه ، اليه ! انظري ما أشحب تحديقه !
لو خطب في الحجارة ، وقد جمع بين شكله ذاك
وبين قضيته ،
لدبّت فيها المشاعر . لا تنظر الي ّ ،
لئلا بفعلك هذا الذي يفطّر القلب
تبدّل افعالي الصارمة ، واذا ما قررت ُ صنعه
يُعوزِه اللون الصحيح ، ويحل الدمع محل الدم .

الملكة : لمن تقول ذلك ؟

هاملت : الا ترين هناك شيئاً ؟

الملكة : لا شيء مطلقاً ، وكل ما هناك أراه .

هاملت : ولم تسمعي شيئاً ؟

الملكة : لا شيء ، سوانا .

هاملت : عجباً ! انظري هناك . انظري كيف ينسل ّ عنا .
ابي في حُلته ايام الحياة .
انظري حيث يخرج الآن من الباب .
(يخرج الطيف)

الملكة : ما هذا الا اختلاق من ذهنك .

فالجنون جدٌّ بارع
في تجسيد ما لا جسد له .

هاملت : الجنون ؟
نبضي كنبضك يحفظ إيقاعه المعتدل
ويصنع مثله موسيقى ملؤها العافية . ليس جنوناً
ما نطقت به . امتحنيني
أُعِدْ رصف كلمات الموضوع ثانية ، أما الجنون
فيشط عنه . أستحلفك بنعمة الله يا أمي
ألا تَطلي الروح منك بذلك البلسم المداهن
فتظني أن جُنَّتي ، لا خطيئتك ، هي التي تتكلم ،
لئلا ينسغَ غشاوةً على الموضع المقروح
بينما الفسادُ الخبيث يعبث في داخله
ويستفحل الداءُ غيرَ مرئي . اعترفي امام العليّ ،
واندمي على ما فات ، وتجنبي ما هو آت ،
لا تنشري الزِبل على الاعشاب
فيشتدّ خبثُ ريحها . اصفحي عن فضيلتي هذه :
ففي سمنة الايام الوارمة هذه
على الفضيلة نفسها ان تستميح الرذيلة عفوا —
أجل عليها أن تنحني وتتوسل كي تحسن الصنيع
الى الرذيلة .

الملكة : آه هاملت ، شطرين شطرت قلبي .

هاملت : إقذفي بالشطر الأرذل
وبالنصف الآخر عيشي عيشةً أنقى .
ليلةٌ سعيدة ! ولكن لا تذهبي الى فراش عمي .

تلبّسي الفضيلة ولو ظاهراً ان كنتِ عدُمتها .
فالعُرف وحش يلتهم كل حساسية ،
وهو الشيطان من كل عادة ، لكنه ايضاً ملاك
في انه يعير الفعل الجميل الحميد ايضاً
رداءً ولبوساً ملائماً . امتنعي الليلة ،
يُضيفُ ذاك شيئاً من اليُسْر الى الإحجام
في المرة المقبلة . ثم يسهل الاحجام التالي .
لأن العادةتكاد يكون بوسعها تبديل وَسْم الطبيعة،
فإمّا ان تحذق فعل الشيطان ، او تلقي به خارجاً
بعزم عجيب . مرةً اخرى : ليلةٌ سعيدة !
وعندما ترومين بَركة الله وتنشدينها ،
أطلب اليك ان تباركيني . اما بشأن هذا النبيل ،
(مشيراً الى جثة بولونيوس)
فإنني نادم . غير ان السماء شاءت
عقابي به وعقابه بي ،
وكان لا بد لي ان اكون وكيلها ووسيلة سخطها
سأنقله ، وأنا مسؤول
عن الميتة التي أذقته . فرة أخرى : ليلة سعيدة !
يجب ان اقسو كي اكون رحيماً :
هكذا يبدأ السوء ويبقى الأسوأ في أعقابه .
كلمة اخرى ، سيدتي الكريمة .

الملكة : ماذا أفعل ؟

هاملت : لا الذي أمرتك بفعله قط .
دعي الملك المتنفخ يغريك ثانية بالفراش

ويقرص خدّك ماجناً ويدعوك عصفورته ؛
ودعيه لقاء قبلتين سخماوين
او دعابتين لعنقك من اصابعه الكريهة
يجعلك تُفضين بأمري هذا كله
من انني ما فقدت عقلي اصلاً ،
بل انني مجنونٌ حيلةً وخديعة . يحسن بك ان تُعلميه .
وإلا فمن يحجب عن هذه السلحفاة ، هذا الخفاش ، هذا الهِرّ
بواطن عزيزة كهذه ، غير ملكةٍ حسناء راجحة حكيمة ؟
من يفعل شيئاً كهذا ؟
لا . فرغماً عن العقل وضرورة الكتمان
أصعِدي القفص الى سطح المنزل
وأطلقي منه العصافير ، وكالقرد المشهور * ،
لكيما تختبري النتيجة ، ازحفي الى داخل القفص
ودقي عنقك اذ تسقطين .

الملكة : ان تكن الالفاظ من النَفَس
والنَفَس من الحياة ، ثقْ ان ليس فيّ حياة
لأتنفس ما قلته لي .

هاملت : عليّ ان اذهب الى انكلترا ، أتعلمين ؟

الملكة : وأأسفاه ، كنتُ نسيت . اتفق تقرّر ذلك .

---

* لا تعرف تفاصيل هذه الحكاية . ولكن يبدو انها تدور حول قرد أراد ان يطير فادخل نفسه في قفص ثم قفز منه .

هاملت : هناك رسائل قد خُتمت ، ورفيقاي في المدرسة ،
وهما اللذان اثق فيهما ثقتي في أفاعٍ ذات أنياب ،
يحملان التفويض ، وعليهما ان يكنسا الطريق امامي
ويوجّهاني نحو النذالة . وليكن ذلك .
فمن دعابة اليوم ان يطير
صانع اللغم مع لغمه ، وسيؤسفني انني
سأحفر عمقَ مترٍ تحت ألغامهما
وأقذف بهما اوصالاً نحو القمر ... ما أطيبها
ان تلتقي خديعتان في خط واحد رأساً لرأس !
هذا الرجل يدفعني الى حزم أمري :
سأجرّ الجيفة الى الغرفة المجاورة .
أماه ، تصبحين على خير ! حقاً ان هذا الوزير الآن
شديد السكون ، شديد التكتم ، شديد الوقار ،
وهو الذي كان في حياته مهذاراً غبيّاً .
[الى الجثة] تفضل يا سيدي ، ولنجرّك الى نهاية .
ليلةٌ سعيدةٌ يا أماه !

(يخرج هاملت وهو يجرّ بولونيوس)

الفصل الرابع

المشهد الأول

في إحدى حجرات القلعة *

يدخل الملك على الملكة

الملك : لهذه التنهدات معان . وهذه الانفاس العميقة
يجب ان تفسّريها . قمين بنا أن نفهمها .
اين ابنك ؟

الملكة : مولاي ، مولاي ـ يا لما رأيت الليلة !

الملك : ماذا يا غرترود ؟ كيف حال هاملت ؟

الملكة : لقد جُنّ جنون البحار والرياح إذ تصطرع
على ايهما أقوى وأعنف . وفي نوبته الظالمة تلك
اذ سمع شيئاً وراء الستارة يتحرك ،
امتشق حسامه وصاح « جُرَذٌ ، جُرَذ ! »
وباضطرابه ذلك العاتي طعن

* يبدأ الفصل الرابع هنا ، بموجب تقسيم اتبعه اصحاب الطبعات الحديثة منذ عام ١٦٧٦ . غير اننا بمراجعة طبعة الفوليو (١٦٢٣) نجد أن هذا المشهد يتصل بسابقه ، والمعنى ، كما هو ظاهر ، يتطلب ذلك . فالحجرة هنا إذن هي الحجرة نفسها التي رأيناها في المشهد السابق ، والحركة مستمرة .

الشيخ الطيب المختبىء هناك وصرعه .
الملـــك : يا للمنكر !
لكنّا نحن الهدف لو كنا هناك .
ان حريته ملأى بأخطار تهدد الجميع –
أنت ، ونحن ، وكلّ فرد هنا .
وهذه الفعلة الدموية ، كيف نبررها ؟
سيلقى اللوم على عاتقنا ، اذ كان علينا
أن نحسب للامور حسابها فنشدّ الزمام
على هذا الفتى المجذوب ونصدّه عن المجتمع .
ولكن حبنا له كان من العمق
بحيث عجزنا عن ادراك ما فيه خير الجميع ،
وفعلنا كمن يصاب بداء خبيث
فيتركه ، خشية افتضاح امره ، يتغذّى
على اللبّ من الحياة . أين ولىّ ؟
الملكة : راح يجر الجثة التي صرعها .
وجنونه بادٍ عليه كتبر
يتلألأ نقاوةً في منجم رخيص المعادن .
وهو يبكي على ما فعل .
الملـــك : هيا بنا يا غرترود .
حالما تمسّ الشمس رؤوس الجبال
سنبعث به في أحد المراكب ، وهذه الفعلة الاثيمة
علينا بكل ما أوتينا من جلال ولباقة
أن نقبلها منه ونصفح عنها . [ينادي] يا غلدنسترن!
(يدخل روزنكرانتز وغلدنسترن)

ايها الصديقان اذهبا معاً في مَهمَّة لنا .
لقد قتل هاملت بولونيوس في سورة من الجنون ،
وراح يجره من حجرة امه .
ابحثا عنه ، ولاطفاه القول ، وأحضرا الجثمان
الى الكنيسة . ارجوكما ان تسرعا .
(يخرجان)
هيا ، غرترود ، ولندعُ العقلاء من صحبنا
ونعلمهم بما قد نوينا فعله
وبما قد حدث من فعل قبل اوانه .
فهمس الناس الذي يرمي بمسموم قذيفته
سداداً عبر المدى من العالم
كمدفع يرمي الهدف ،
قد يخطىء اسمنا ويصيب هواءً لا ينجرح .
هيا بنا . نفسي مثقلة بالاضطراب والجزع .

المشهد الثــــاني

غرفـــة أخرى من القلعة

يدخل هاملت

هاملت : تخلصت منها بسلام !

روزنكرانتز وغلدنسترن [من الداخل] : هاملت ، مولانا هاملت !

هاملت : ما هذا الصوت ؟ من يدعو هاملت ؟ آه ، ها هما قادمان .

روزنكرانتز: ماذا فعلت يا مولاي بجثة الميت ؟

هـــاملت : عجنتها مع التراب ، فهو قريبها .

روزنكرانتز: اخبرنا أين هي لنأخذها ونحملها الى الكنيسة .

هاملت : لا تصدقوا .

روزنكرانتز: لا نصدق ماذا ؟

هاملت : انني سأعمل بنصحكم، لا بنصحي، وفضلاً عن ذلك، اذا كان السائل اسفنجة ، فما الذي على ابن الملك أن يجيب به ؟

روزنكرانتز: اتحسبني اسفنجة يا مولاي ؟

هاملت : نعم يا سيدي ، اسفنجة تمتص نُصرة الملك وعطاياه وسلطاته . غير ان هــذاالفصيل من الرجال أفضل الناس خدمة للملك في النهاية . فهو يبقيهم في ركن من شدقـــه كالقرد ، جاعلاً اول ما يلتقم آخر ما يزدرد . حينما يحتاج الى ما امتصصتَه انت انما هو يعصرك ، وعندها ، ايها الاسفنجة ، ستجفّ من جديد .

روزنكرانتز: لست أفهمك يا مولاي .

هاملت : أفرحتني بذلك ! فالكـــلام الضاحك في الاذن البلهاء نائم .

روزنكرانتز: مولاي ، يجب ان تخبرنا بمكان الجثـــة وتصحبنا الى الملك .

هاملت : الجثة مع الملك ، ولكن الملك ليس مع الجثـــة . فالملك شيء —

غلدنسترن : شيء ، يا مولاي ؟

هاملت : من لا شيء . خذاني اليه . [يصيح] اختبىء يا ثعلب اختبىء ، والحقوه الحقوه * ! (يخرج راكضاً)

المشهد الثالث

غرفة أخرى من القلعة

يدخل الملك

الملك : لقد ارسلتُ من يبحث عنه وعن الجثة .
ما اخطر الوضع وهذا الرجل حرّ طليق !
ولكن رغم ذلك ، يجب الا نفرض عليه شكيمة القانون .
فهو محبوب الجماهير الحمقاء —
وهي التي في احكامها لا تهوى الا بأعينها .
وفي حالة كهذه تزن عقاب المسيء
اما الاساءة فلا . فلكي تجري الامور سلسلة متساوقة
يجب ان يبدو اقصاؤه الفجائي هذا
نتيجة للوقفة والترويّ . فالداء اذا استيأس
كان في الداء المستيئس علاجه ،
والا فلا .
(يدخل روزنكرانتز)
والآن ما الذي صار ؟

روزنكرانتز: لقد عجزنا يا مولاي ان نستخلص منه

* عبارة كان الاطفال يهتفون بها حين يلعبون « الغماية » .

اين وضع الجثة .

الملــك : ولكن اين هو ؟

روزنكرانتز: في الخارج يا مولاي ، محروساً بانتظار امركم .

الملــك : احضروه امامنا .

روزنكرانتز: يا غلدنسترن ! ادخل سيدي الامير !

(يدخل هاملت وغلدنسترن)

الملــك : والآن يا هاملت ، اين بولونيوس ؟

هاملت : في العشاء .

الملك : في العشاء ؟ اين ؟

هاملت : لا حيث يأكل ، بل حيث يؤكل . لقد عقد عليه اجتماعاً عدد من الديدان السياسية . ان الدودة من حيث الغذاء هي السلطان الاوحد . فنحن نسمّن المخلوقات الاخرى كلها لتسمننا ، ونسمّن انفسنا للديدان . والملك البدين والمتسول الهزيل انما هما طعام قليل التفاوت ، أكلتان لمائدة واحدة . تلك هي الخاتمة .

الملك : واضيعتاه !

هاملت : قد يصيد المرء سمكة بدودة اقتاتت على ملك ، ثم يأكل السمكة التي تغذت على تلك الدودة .

الملك : وما الذي تعنيه بذلك ؟

هاملت : لا شيء سوى أن اريك كيف ان الملك قد يقوم بجولة في امعاء صعلوك !

الملك : اين بولونيوس ؟

هاملت : في السماء . ارسل وراءه هناك . فاذا لم يجده

رسولك هناك ، ابحث عنه بنفسك في المكان الآخر:
ولكن اذا لم تجده في بحر هذا الشهر ، سيلقاه انفك
حين تصعد الدرج الى الردهة .

الملك [لبعض من حوله] : اذهبوا وابحثوا عنه هناك .

هاملت : سينتظر ريثما تصلون . (يخرجون) .

الملك : هاملت ، اننا في أشد الاسى لما فعلت ،
ولكن هذه الفعلة ، حفظاً لسلامتك التي
تهمّنا ، يجب أن نقصيك عنا
بسرعة النار . ولذا ، عليك بالتهيؤ .
فالمركب جاهز ، والريح مؤاتية ،
والرفاق ينتظرون ، وكل شيء على أهبة الرحيل
الى انكلترا .

هاملت : انكلترا ؟

الملك : أجل يا هاملت .

هاملت : حسناً .

الملك : حسن قصدنا ، لو كنت تعلمه .

هاملت : أرى ملاكاً يراه . ولكن ، هيا بي الى انكلترا ،
وداعاً ، يا امي العزيزة .

الملك : بل أباك المحب يا هاملت .

هاملت : بل أمي . فالاب والام زوج وزوجة ، والزوج
والزوجة جسد واحد . اذن ، أمي ! هيّا ،
الى انكلترا .

(يخرج هاملت)

الملك [لروزنكرانتز وغلدنسترن] :

ابقيا على عقبه ، أغرياه ُ بركوب السفينة على عجل.
لا تتوانيا ، أريده أن يغادر البلد الليلة .
اذهبا ، فكل شيء يتصل بهذا الامر
هو الآن منته مختوم . أرجوكما ، السرعة !
(يخرجان)
[وحده] وانت يا سيد انكلترا، ان كنت تقدّر محبتي -
ولعل قوتي الساحقة قد أعلمتك بها -
ولما كانت ندب جروحك بعد حمراء أليمة
من ضربات سيوفنا الدانمركية ، وخوفك الحرّ
يدين لنا بالولاء ، فعليك الا تقلل
من شأن سلطتنا الآمرة ، وهي التي تنص الآن ،
بكتبٍ توصيك بذلك ،
على مقتل هاملت في الحال . اقتله —
لانه في دمي يشتعل كالحمى ،
وعليك بشفائي . والى ان يأتيني الخبر ،
كيفما تكن حالي ، ما بدأت قط أفراحي !

المشهد الرابع

في احدى بطاح الدانمرك *

يدخل فرتنبراس مع رهط من جيشه وأحد رؤسائه

فرتنبراس : اذهب ايها الرئيس وحيِّ باسمي ملك الدانمرك ،

* يطلعنا هذا المشهد ، لبرهة وجيزة ، على فرتنبراس وجيشه لكي لا تكون ثمة حاجة لشرح امره عندما نراه ثانية عند نهاية المسرحية .

وقل له ان فرنتبراس ، بإذنٍ منه ،
يلتمس سماحه الموعود بسيرٍ الجند
عبر مملكته . انت تعلم الملتقى :
فاذا رام منا جلالته شيئاً
قمنا بواجبنا بين يديه .
أعلمه بذلك .

الرئيس : سأفعل يا مولاي .

فرتنبراس : على رِسلك اذن .

(يخرج فرتنبراس وجيشه ويبقى الرئيس . ويدخل هاملت
وروزنكرانتز وغلدنسترن وآخرون)

هاملت : سيدي الكريم ، قوات من هذه ؟

الرئيس : قوات ملك النروج ، سيدي .

هاملت : وما وجهتها ، أرجوك ، يا سيدي ؟

الرئيس : بعض أجزاء بولنده .

هاملت : ومن يقودها ؟

الرئيس : ابن أخي ملك النروج ، فرتنبراس .

هاملت : وهل تُراها زاحفة على أرض بولنده ، يا سيدي ،
أم على بعض حدودها ؟

الرئيس : اذا اردت الصدق دون ما اضافة ،
فاننا ذاهبون لكسب رقعةٍ من الارض ضيقة
لا نفع منها سوى اسمها .
واني لآنف أن أفلحها وأقصى ما تدر خمسة دنانير ،
بل انها لن تدر على ملك النروج او بولنده

مبلغاً أجسم من ذلك حتى ولو بيعت نقداً وعداً .

هاملت : إذن لن يدافع عنها البولوني أبداً .

الرئيس : بلى ، فان فيها حامية .

هاملت : ألفا نسمة وعشرون ألف دينار
لحسم الخلاف حول هذه الهباءة !
ما هذه إلا ورم السلم مع المال الكثير :
ورمٌ ينفجر في الداخل ولا يبدي عَرَضاً
يعلل موت صاحبه . جزيلَ الشكر يا سيدي .

الرئيس : كان الله معك ، يا سيدي . (يخرج)

روزنكرانتز: ألا تتفضل بالسير يا مولاي ؟

هاملت : سألحق بكم حالاً . اسبقوني قليلاً .

(يخرجون ، ويبقى هاملت)

ما من حَدَثٍ الا ويُنبىء عليّ
ويَحفِز ثأري البليد . ما الانسان
ان كان أفضلَ ما لديه وخيرَ ما يَشغلُه
النومُ والأكل ؟ حيوانٌ لا غير .
بيد أن الذي صنعنا وجعل فينا نفساً كبيرة كهذه
ترسل البصر الى الأمام والى الوراء ، لم يهبنا
هذه المقدرة ، هذا العقل الجدير بالآلهة ،
ليعفن فينا مهملاً .
ليت شعري أهو نسيان مني وحشي ، ام توجسٌ
رعديد
إذ أحسب للمغبة الف حساب ـ

وهو حساب لو قُسّم أرباعاً لما كان التبصر فيه الا
جزءاً واحداً ،
والجبن منه ثلاثة أرباع . لست أدري
لماذا اراني بعد حياً لأقول « هذا الامر يجب فعله » ،
ولديّ لفعله الحافز ، والارادة ، والقوة ، والوسيلة.
وثمة ايضاً امثلة تستحثني ، كثيفة كثافة الارض :
خذ مثلاً هذا الجيشَ اللَّجِب
يقوده أمير رقيق حديث السنّ ،
له نفس كَبَرت بطموح عُلْوي
فراحت تسخر من العواقب المجهولة ،
وتدفع بالجسد القَلِقِ العرضةِ للمنيّه
الى تحدّي الخطر والموت وقسمة الحظ ،
ولو من أجل قشرة بيضة ! فالعظمة الحقة
ليست في التحرّك دونما سبب عظيم ،
بل في اثارة النزاع العظيم حول هباءة
إذا ما الشرف هُدّد بالأذى . فما موقفي إذن ،
أنا الذي قُتل ابي ولُوّثت أمي ،
واستُفزّ عقلي ودمي ،
ولا أحرّك ساكناً ، في حين أرى ، واخجلاه ،
عشرين الف رجل على وشك الردى
يسعون من أجل شهرة موهومة
الى قبورهم كأنها فراشهم ، ويقتتلون من أجل بقعة
لا تتسع لقتال عديدهم

ولا فسحة فيها لضريح يوارى فيه
صرعاهم . ألا من هذه الساعة فلتكن
دمويةً أفكاري كلها ، او فلتُعدمْ قدرَها !

المشهد الخامس

ألسينور في احدى حجرات القلعة .

تدخل الملكة وهوراشيو .

الملكة : لا اريد الحديث اليها .

هوراشيو : إنها شديدة الإلحاح ، بل فقدت عقلها ، يجب ان
يُرأف بحالها .

الملكة : ما الذي تبغيه ؟

هوراشيو : انهـا كثيرة الكلام عن أبيها ، وتقول انه قـد بلغها
ان في الدنيا أحابيل ، ثم تتنحنح وتقرع صدرها
وتضرب برجلها الهباء غضباً ، وتقول أشياء غير يقينية
لا تنطوي على اكثر من نصف معنى . كلامها لا شيء ،
بيد أن اللاتماسك فيه يحدو
بالسامعين الى الاستنباط : فإذ يستهدفون المعنى
يرقعون الالفاظ لتتفق وافكارهم ،
والفاظها بغمزاتها وايماءاتها وهزات رأسها
تجعل المرء في الحق يعتقد بأنها تحمل فكْراً
قد يخلو من التحديد ولكن يملؤه البؤس والأسى .

الملكة : من الأفضل اذن ان اتحدث إليها . لأنها قد تنثر

تخرّصات خطرات في أذهانٍ لا تنجب إلا الشرّ .
أدخلها عليّ . (يخرج هوراشيو)
في كل طفيف ترى نفسي مقدّمةً
لنكبة ما مريعة . تلك مزّية الخطيئة .
فالجرم جيّاش بعفويّ الشكوك
يسكب نفسه بنفسه ، لشدة ما يخشى ان ينسكب !

(تدخل اوفيليا ، وقد جُنّت ، مع هوراشيو)

اوفيليا : اين ملكة الدانمرك البهيّة ؟

الملكة : كيف أنت يا اوفيليا ؟

اوفيليا (تغني) * : حبيبك كيف لي تميزُهُ
بين الرجال الوافدين ؟
بعصاه ومحارةٍ في رأسه **
ونعلِ حُجّاجٍ عائدين .

الملكة : ويحي عليك يا صبيتي – ما معنى هذا الغناء ؟

اوفيليا : أقلتِ شيئاً ؟ أرجوك اسمعي (تغني) :
سافر الموت به يا طفلتي
ونما العشب على أجفانه
واستراحت ، في ثبات ، صخرة
عند رجليه ، وفي أحضانه

---

* في هذا المشهد تغني اوفيليا مقاطع من أغانٍ شتى كانت معروفة لدى معاصري شكسبير .

** كان الذين يعودون من الحج الى كنيسة مار يعقوب كومبوستلا يلبسون محارة في القبعة .

الملكة : ولكن يا اوفيليا ...

اوفيليا : أرجوك اسمعي :

كفّنوه برداء أبيض فبدا كالثلج في أكفانه

(يدخل الملك)

الملكة : واألماه ! انظر اليها يا سيدي .

اوفيليا تغني : وتزيّنا النعش بالورد شذى
وسرى الموكب في أحزانه
وبدا القبر فمدت شوقها
أدمع حرّى الى جثمانه

الملك : كيف حالك ، يا جميلة ؟

اوفيليا : بخير والحمد لله . يقولون ان البومة كانت ابنة خبّاز . اننا يا مولاي نعرف ما نحن ، ولكننا لا نعرف ما قد نؤول اليه . كان الله على مائدتك !

الملك : تفكيرها بأبيها .

اوفيليا : أرجوك ألا تُفشي هذا . ولكن إن يسألوك عن معناه ، قل لهم هذا :

قالت : مارُ فلنتينَ غداً عيدُهُ * :
سأبكّر في الصباح لكي تراني
اولَ من ترى في الحي من عذارى
فتحبني من دون كل الحسانِ
وفي صباح العيد جاءت ورآها

* كانت العادة ان يعتبر الرجل اول فتاة يراها صباح يوم مار فلنتين ، ١٤ شباط ، حبيبته .

عذراءَ منّت نفسها بالتلاقي
فأدخلها البيتَ عذراءَ ولكن
لم تبارح بيته بكراً بالفراقِ

الملك : اوفيليا الجميلة !

اوفيليا : بل انظر ، سأنهيها بلا قَسَم :
يا للعار ، واخجلتاه !
أما من رأفةٍ بين البشر ؟
يفعلها الشبابُ إن جاؤا إليها ـــ
من الملوم إلا الشباب ؟
قالت له : او لم تعدني
قبل افتراشي بالزواج ؟
قال لها ، وحق هذا الضياءِ لتزوجتك
لو لفراشي لم تسرعي .

الملك : كم مضى عليها وهي هكذا ؟

اوفيليا : أرجو أن يتم كل شيء على خير. علينا بالصبر الجميل، ولكنني لا استطيع الا البكاء كلما ذكرت أنهم سيُرقدونه في الارض الباردة . سيعلم أخي بالأمر ، ولذا اشكر لكم حُسْن نصيحكم . هيّا يا عربتي . ليلةٌ سعيدة يا سيداتي ، ليلةٌ سعيدة يا سيداتي اللطيفات . ليلة سعيدة . (تخرج)

الملك لهوراشيو : اتبعها عن قرب ، وأحسن حراستها ، أرجوك.

(يخرج هوراشيو)

ما هذا الا سُمٌ الفجيعة ، ينبع

كله من موت أبيها . آه يا غرترود ، غرترود ،
اذا ما أتت الاحزان ، لم تأت فرادى
بل جحافل . اولاً ، يقتل أبوها ،
ثم يرحّل ابنك ، وهو بعنف هوجائه السبب
في اقصائه العادل ، وبعدها تتعكّر اذهان الناس
بكل خاطر مسموم ، وتتهامس الشفاه
بمقتل بولونيوس الكريم ، ونسلك نحن درب الحماقة
بأن ندفنه سراً على عجل . مسكينة أوفيليا !
لقد شقّ بينها وبين نفسها والعقل الجميل
وما نحن بدونه الا صور مرسومة او وحوش .
وأخيراً هذا الأمر الخطير ايضاً :
لقد جاء أخوها سراً من فرنسا ،
وهو يغذو نفسه بالتساؤل ، وينزوي بين السُحُب ،
ولا يريد صقوراً تعدو اذنيه
بموبوء الكلام عن موت أبيه ،
ولانعدام الحقائق في هذا الكلام
لن يتورعوا لحظة عن اتهامنا
في هذه الاذن وتلك . ان هذا كلّه يا عزيزتي
لأشبه ببندقية شتيتة الطلقات
تصيب مني اكثر من مقتل واحد .

(ضوضاء من الداخل)

الملكة : ويحي ، ما هذه الضوضاء ؟

الملك : اين حرسي الخاص ؟ ليحرسوا الباب !

(يدخل رسول)

ما الامر ؟

الرسول : انجُ بنفسك يا مولاي !

ان البحر المتلاطم اذ يتجاوز حدوده

لا يلتهم الشطآن الخفيضة بالسرعة الجامحة التي

سيطر بها على ضباطك الفتى لرتيس

مع عصبته الثائرة . وها هي الدهماء تنادي به سيداً ،

وكأنما الدنيا لم تبدأ الا هذه اللحظة ،

وكأنما القِدَم لم يوجد ولا العُرْفُ وُجد ،

وهما مصداق كل قول ودعامة كل رأي ،

فراحوا يتصايحون: «فلننتخب ! لرتيس هو الملك!»

والهتاف بالألسن والايدي والقبعات يطاول عنان السماء :

« لرتيسُ هو الملك ! لرتيسُ الملك ! »

الملكة : ما أمرح صيحاتهم وهم يقتفون أثر الضلال !

هذا عكس الهدى ، ايتها الكلاب الدانمركية الغادرة !

« ضوضاء في الداخل »

الملك : كسروا الابواب !

« يدخل لرتيس مسلحاً ، يتبعه كثيرون »

لرتيس : اين الملك ، ايها السادة ؟ [لقومه] قفوا جميعاً في الخارج !

الجميع : لا ، دعنا ندخل !

لرتيس : أرجوكم أن تفسحوا لي المجال .

الجميع : حسناً ، حسناً ، سنخرج .

« يخرجون »

لرتيس : شكراً لكم ! احرسوا البـــاب . ايها الملك الحقير ،
أعطني أبي !

الملكة : بهدوء ، أرجوك يا لرتيس !

لرتيس : إن تكن فيّ نقطة دم هادئة ، فانما هي تعلن انني
ابن خنا ،
وتصيح بـــأن أبي خؤون الزوجـــة ، وتسِمُ
أمي الأمينة
هنا ، بين حاجبيها الناصعين الطاهرين، بميسم الزنى!

الملك : ثورتك تبدو عملاقية يا لرتيس —
ما السبب ؟
دعيه يا غرترود ، لا تخشي على شخصنا .
ثمة ألوهة تسوّر الملك ،
وجلّ ما تستطيعه الخيانة هو التطلع الى ما تبغيه
عاجزة إلا عن أقلّ التنفيذ . قل لي يا لرتيس ،
لمَ هذا الغضب ؟ دعيه يا غرترود .
تكلم يا رجل .

لرتيس : اين أبي ؟

الملك : مـــات .

الملكة : ولكن ليس على يده .

الملك : دعيه يسأل ما شاء له السؤال .

لرتيس : كيف مات ؟ لن أقبل المداورة !
فليذهب الولاء الى سَقر، والعهود الى ابليس الرجيم،
والى الدرك الأسفل النعمة والضمير !
إني اتحدّى نار القيامه ! وهنا أضع قدمي

حيث لا ابالي بهذه الدنيا ولا الآخرة ،
وليكن ما يكون ! فوالله لانتقمن
لابي شرّ انتقام .

الملك : ومن يوقفك ؟

لرتيس : مشيئتي ــ لا العالم بأجمعه .
أما وسائلي فلسوف أحسن تدبيرها
لتحقق الكثير بالقليل .

الملـــك : ولكن يا لرتيس ،
ان كنت تبغي التحقق
من موت والدك العزيز ، هل خُطّ في انتقامك
أن تغنم بضربتك الصديقَ والعدو
ربحت أم خسرت ؟

لرتيس : أعداءه ، دون غيرهم .

الملـــك : أتريد أن تعرفهم اذن ؟

لرتيس : لاصدقائه الطيبين ، سأفتح ذراعيّ واسعاً هكذا ،
وكالبجعة * الرؤوم واهبة الحياة
أطعمهم من دمي .

الملك : الآن نطقتَ
نطق الابن البارّ والسيد النبيل .
أما انني بريء من موت أبيك
وعميق الحزن والاسى عليه
فلسوف ينفذ الى ادراكك جهاراً

* كان المعتقد أن البجعة تغذّي صغارها بدم من صدرها .

كما تنفذ الى العين رابعة النهار .

(ضوضاء من الداخل وصوت يقول : « دعوها تدخل » .)

لرتيس : ما هذا ؟ ما هذه الضوضاء ؟

(تدخل اوفيليا وهي تحمل باقات من الزهر)

يا لهيباً جفف دماغي ، ويا دموعاً سبعَ مرات مريرة ،
احرقي في عينيَّ الحسَّ والبصر !
والله لاستحصلن ثمن جنونك وزناً
أو ترجحَ كفتُنا رجحاناً ثقيلاً ! يا وردةَ أيار ،
يا عذراءَ عزيزةً واختا وفية — أوفيليا الحبيبه ،
يا للسماء ! ايمكن للعقل في فتاة يانعة
أن يعرف الموت ، كالحياة في شيخٍ هَرِمٍ ؟
ما أرق الطبيعة في حبها ! فهي إذ ترقّ
ترسل في إثر ما تُحب
قطعة غالية من نفسها * .

اوفيليا (تغني) : سافِرَ الوجه على نعشٍ حملوه
يا ويلتاه
وعلى القبر غزيرَ دمعٍ أمطروه .
وداعاً يا حمامتي .

لرتيس : لو لم تفقدي العقل وحثثتِني على الثأر
لما حفَزْتِني كما تفعلين الآن .

* اي ان الطبيعة ترسل في إثر بولونيوس الذي تحبه قطعة غاليه من نفسها — عقل اوفيليا .

اوفيليا (تغني) : غنوا معي ، غنوا معي ،

يا ويلنا ..

ما أجملَ انسجام الغناء ودولاب الغزْل ! الخازن اللئيم هو الذي هرب بابنة سيده * .

لرتيس : هذا اللغو أقوى من كل فحوى .

اوفيليا : هاكَ زهر الحَصَلْبان ، انه للذكرى . أرجوكَ يا حبيبي ، ان تتذكر . وهاك هذه الباقة من زهرة الخواطر ** .

لرتيس : وثيقة من الجنون ، تلتئم فيها الذكرى والخواطر .

اوفيليا : هاكَ انت الحبة السوداءَ والأخيليا ، وانتِ إليكِ السَّذاب ، انه زهر الشجن ، وعليّ أنا ببعضه . لنا أن نسميه ايضاً زهر النـــدم ، فعليكِ أن تحملي سذابك مع فارق . هاك ايضاً أقحوانة . وددتُ لو أعطيتكِ بنفسجاً ، غير أنه ذَبُل كله ساعة موت أبي . يقولون ان نهايته كانت صالحة ـــ

[تغني] لان في الدوري المغني فرحتي ...

---

* قصة اخرى مجهولة لدينا ، كقصة القرد والقفص . لعل فيها إشارة الى كلوديوس ؟

** هذه العبارة موجهة ، على الأرجح ، الى لرتيس اذ قد تظنه حبيبها . وما توزعه اوفيليا ، له معناه الخاص في لغة الزهور . فلأخيها تعطي الذكرى والخواطر (Rosemary, Pansies)، وللملك النفاق (الحبة السوداء Fennel) والجحود (الأخيليا Columbine) ، وللملكة الشجن (السذاب Rue) وطيش الهوى (الاقحوانة) . أما الاخلاص (البنفسج) فلا تعطيه لأحد . من الواضح أن هذه المعاني قد لا تتفق كلها مع معاني الزهور عنـــد العرب . فالحبة السوداء عندنا رمز للبركة ، والسذاب يعلق ضد « العين » .

لرتيس : إنها تقلب الغمّ والعذاب ، بل والغضب والجحيم ،
حُسْناً ورواء !

اوفيليا (تغني) : أو َلن يعودَ لنا ثانيةً
اولن يعود لنا ؟
كيف يعود وقد قضى ؟
الى فراش موتكِ فاذهبي .
فهو لن يعود لنا .
لحيةٌ كالثلج بيضاء
من قنّب اكفانه
في ذمّة الغيب غدا
نبكيه دوماً عبثا ـــ
رحمة الله عليه
وعلى كل المؤمنين ، اللهم ! استودعكم الله .
(تخرج اوفيليا)

لرتيس : رباه ، أترى الى ذلك ؟

الملك : لرتيس ، لا بد لي من ان أباحث حزنك
وإلا انكرتَ عليّ حقاً . ما عليك الا ان تذهب
وتنتقي من أعقل صحبك من تشاء
فنحتكم أنا وانت اليهم .
فاذا وجدوا لوثةً في يد منا
سَريرة أو جهيرة ، وهبناك مُلكنا
وتاجنا وحياتنا وكلّ ما لدينا
ديةً لك . وإلاّ ،
فاقنع بالصبر علينا

نكدحْ سويةً مع نفسنك
لنرضيها كما ينبغي .

رئيس : لا بأس.
وهناك اسئلة صارخة تريد من يسمعها
كأنها من السماء تلقى على الارض :
بأي سبب مات ولماذا جرى دفنه سراً ،
دون سيفٍ أو شارة نصرٍ او شعار نُبْلٍ
حيث ثوتْ عظامه ،
محروماً من الشرف مراسيمه ومن الابهة مظاهرها ؟
ذلك ما علي أن احقق فيه .

الملك : لك ذلك .
وحيثما الإثم ، فلتقع فأس العقاب !
هلمّ معي .
(يخرجون)

المشهد السادس

غرفة في القلعة

يدخل هوراشيو وخادم

هوراشيو : من هم الذين يبغون الحديث اليّ ؟

الخـــادم : نفر من البحارة ، سيدي . وهم يزعمون انهم جاءوا برسائل اليك .

هوراشيو : أدخلهم .

لست أدري من أي قطر في العالم
قد تأتيني التحية ، اذا لم تكن من الامير هاملت .
(يدخل البحار)

البحار : السلام عليكم

هوراشيو : وعليكم السلام .

البحار : هذه رسالة لكم ، يا سيدي ، وهي من السفير الذي كان ميمما شطر انكلترا — ان يكن اسمك هوراشيو ، كما قيل لي .

هوراشيو (يفض الرسالة ويقرأ) : « هوراشيو ، عندما تطّلع على هذه الرسالة ،هيىء لهؤلاء الرجال سبيلاً الى الملك، فانهم يحملون اليه رسائل . ما كدنا نقضي يومين في البحر ، حتى طلع علينا قرصان مزوّد بعدة الحرب وجدّ في اثرنا . فلما وجدنا ان مركبنا بطيء الشراع،أكرهنا على الظهور بمظهر البأس والشجاعة. وفي العراك، اقتحمت سفينتهم ، واذا هم على الفور يبتعدون عن مركبنا ، فغدوت وحدي اسيرهم . ولقد عاملوني معاملة لصوص رُحَماء،غير انهم كانوا واعين ما يفعلون . أودّ ان أصنع لهم جميلاً . فليتسلم الملك الكتب التي ارسلتُها ، وتعال انت اليّ بسرعة من يفرّ من الموت . لدي كلمات أسرّها في اذنك ، ولكن ما أخفها بالنسبة الى عيار ما اريد قوله ! وهؤلاء الرجال الطيبون سيقتادونك اليّ . أما روزنكرانتز وغلدنسترن فما زالا في طريقهما الى انكلترا . وعن كليهما لديّ الكثير أقصه عليك .

وداعاً ، وبقيت لمن يحبك ـــ هاملت . »
تعال معي ، سأمهد السبيل لرسائلك هذه .
أسرعْ ما استطعت ، لكي تقودني
الى الرجل الذي بعث بها معك .

المشهد السابع

في احدى قاعات القلعة

يدخل الملك ولرتيس

الملك : والآن لا بد لضميرك أن يختم على براءتي
كما ينبغي عليك ان تجعلني في قلبك من الاصدقاء ،
بعد أن سمعت بأذنك العليمة
أن الذي اودى بحياة ابيك النبيل
كرّ في طلب حياتي .

لرتيس : لقد اتضح ذلك . ولكن قل لي ،
لمَ لم تتخذ إجراء ضد افعال الشر هذه
وملؤها الجريمة وطابَعها القتل ،
عندما أثارت فيك اشد السخط ،
كما تقتضي السلامة والحكمة وغير ذلك ؟

الملك : لسببين خاصين ،
قد يبدوان لك واهيين بلا عضل ،
ولكنهما في نظري قويان . ان الملكة أمه
تكاد لا تحيا الا بمرآه . وانا ـــ

خيراً كان ذاك عليّ ام وبالاً —
قد ارتبطت بها حياتي وروحي
فصرتُ كالكوكب الذي لا يسبح الا في فلكه
لا استطيع الحركة الا بها . والدافع الثاني
في عدم جعلي من الامر قضية عامة ،
هو ما تكنّه له الدهماء من حبّ عظيم
فتغمس مساوئه كلها في ودّها له ،
وكالينبوع الذي يقلب الحطب الى حجر *
تحوّل أصفاده الى محاسن . وإذا سهامي ،
وعيدانها أهزل من أن تخرق ريحاً صاخبة كهذه ،
ترتد على قوسي ثانية
بدلاً من ان تبلغ الهدف الذي رميتُه .

لرتيس : وهكذا فقدتُ أباً نبيلاً
وتطوحتْ أختي في اليائسات من المهاوي
وهي التي ، لو ان للمدح ان يكال لشيء مضى ،
كانت تتحدى الزمان من شاهق
بكمالها . ولكن انتقامي آت .

الملك : لا يضطربنّ نومك لذلك . ولا تظننّ
اننا صنعنا من عنصر بليد خامل
فنسمح لأحد بأن يجرّ لحيتنا جرّ الخطر
ونعد ذلك لهواً وتسلية . لسوف تسمع المزيد عما
قريب .

---

* كانت في وَرِكشر ، المقاطعة التي نشأ فيها شكسبير ، ينابيع قيل إنها تحول الحطب الى حجر .

لقد كنت احب أباك ، ونحن نحب نفسنا ،
فآمل ان يحدو بك ذلك الى ان تتصوّر —

(يدخل رسول)

ما وراءك ؟ ما الخبر ؟

الرسول : رسالتان يا مولاي من هاملت .
هذه لجلالتكم ، وهذه للملكة .

الملك : من هاملت ؟ من جاء بهما ؟

الرسول : قالوا ، جماعة من البحارة . ولكنني لم أرَهم .
أعطاني الرسالتين كلوديو ، وهو تسلمّهما
من الذي جاء بهما .

الملك : لرتيس . سأسمعك الاثنتين .
[للرسول] اتركنا .

(يخرج الرسول)

[يقرأ] « يا صاحب العزّ والجبروت ، إعلم أنني وطئت مملكتكم عارياً . وغداً سأستأذن منك ان أرى عينيك الملكيتين . وعندئذ ، بعد ان استميحك الصفح والغفران ، سأسرد وقائع عودتي الفجائية العجيبة . هاملت . »

ما معنى هذا ؟ هل عاد الآخرون أيضاً ؟
أهي خدعة ؟ أم ماذا ؟

لرتيس : أتعرف خَطّه ؟

الملك : إنه خط هاملت . « عاريا » !
وهنا حاشية يقول فيها : « لوحدي » .
هل من نصيحة ؟

لرتيس : إني في حيرة من امره يا مولاي . ولكن ، دعه يأتي .
حتى الداء الذي في قلبي ينتعش ،
لانني سأحيا لأقول له وجهاً لوجه :
« هكذا فعلت ! »

الملك : اذا كان الامر كذلك يا لرتيس —
وكيف يكون كذلك ، بل كيف لا يكون ؟ —
أفتنصاع لي ؟

لرتيس : على ألا تدفعني الى صلحٍ معه .

الملك : بل الى راحة نفسك . فانْ يكن قد عاد الآن ،
أي ان يكن قد انصرف عن رحلته عازماً
على ألا يقوم بها ، سأغريه
على فعلة انضجتْها الآن حيلتي ،
لا مردّ لسقوطه فيها .
ولموته عندئذ لن تتنفس ريحٌ بلَوْم ،
بل إن أمه نفسها ستبرىء المكيدة
وتعدّها قضاءً وقدرا ،

لرتيس : سأكون اكثر انصياعاً لك
اذا دبّرتها بحيث تجعلني أنا الوسيلة .

الملك : ان ذاك في محله .
فقد دار حولك منذ ان سافرتَ حديث كثير
على مسمع من هاملت ، بصدد مزّية فيك
يقولون انك برزت بها . خصالك كلها
مجموعةً معاً لم تنتزع منه غيرةً
بقدر ما انتزعت تلك المزيّة — وهي في رأيي غيْرةٌ

من أحطّ الدركات .

لرتيس : وما تلك المزية يا مولاي ؟

الملك : مفخرة من مفاخر الشباب ،
وضرورة من ضروراته . فالشباب تليق به
ثيابه الممراحة الزاهية بقدر ما
تليق بالشيخوخة الوادعة العباءةُ والحلل
دليلة الوقار وحفظ العافية .
منذ زهاء الشهرين
جاءنا نبيل من نورمندي .
لقد رأيتُ الفرنسيين وقاتلتهم :
انهم فرسان بارعون . غير ان فروسية هذا الرجل
كانت السحر بعينه ، فكنت تخاله ينمو من صهوة الجواد ،
فيحفز حصانه لكل فعل عجيب
كأنه بعضٌ من اوصال جواده الجميل
او نصف من جسده : لقد فاق تصوري ،
وجاء من الحركات والألاعيب
بما يعجز عنه خيالي .

لرتيس : أنورمندي ؟

الملك : نورمندي .

لرتيس : لاموند ولا ريب !

الملك : هو بعينه !

لرتيس : اعرفه تمام المعرفة . انه في الحق درة قومه
وواسطة عقدهم .

الملك : لقد اعترف بك

وروى عن فائق قدرتك
في الضرب والطعان دفاعاً عن النفس ،
وأشاد على الاخص بضربة سيفك
وهتف قائلاً ، لو كان لامرىء ان يستطيع نزالك
لكان ذلك من أروع المشاهد . واقسم ان المبارزين
من قومه ان انت نازلتهم
ُعدموا الحركة والعينَ والحذر .
وصفُه هذا يا سيدي
َسمّ بدنَ هاملت غيرةً
فما عاد يستطيع الا ترديدَ أنه
يرجو ويتمنى عودتك المفاجئة لكيما تنازله .
فبناءً على هذا —

لرتيس : بناءً على هذا يا مولاي ؟

الملك : لرتيس ، أكان ابوك عزيزاً عليك ؟
أم انك ، كصورة مرسومة للأسى ،
وجهٌ بلا قلب ؟

لرتيس : لمَ تسأل ذلك ؟

الملك : لا لأنني أشك في حبك لأبيك
بل لأنني أعلم ان الحب يبدأه الزمن ،
وأرى من الحوادث ادلةً وبراهين على
ان الزمن ينال من شرر الحب وضرامه :
ففي القلب من لهيب الحب نفسه
ما يشبه الفتيلة للحدّ من َوقدْه ،
وهل من شيء يظلّ دوماً على ُحسْنه ؟

فحُسْن الشيء ، إذ يزيد حتى يفيض ،
يموت من فيضه . ان ما نبغي فعله
يجب فعله عندما نبغي ، لان « نبغي » هذه تتبدل ،
ويعتورها من النقص والتسويف
بقدر ما هنالك من ألسن وأيدٍ وصُدَف .
وعندها نرى أن « يجب » أشبه بزفرة مضنية *
تروّح عن النفس ولكنها تؤذي الجسد . ولكن
لنعد الى رأس العلة :
سيعود هاملت . ما الذي تتعهده
لتثبت انك ابن ابيك حقاً
بأكثر من الكلام ؟

لرتيس : ان اذبحه من نحره في الكنيسة .

الملك : يقيناً ، يجب الا يكون هناك مكان يحرّم فيه القتل .
كما يجب ألا يُجعل للانتقام حدود . ولكن ،
عزيزي لرتيس ،
أرجوك ان تقبع في غرفتك ،
وحالما يعود هاملت سيعلم بقدمك .
ثم نرسل اليه من يُثني على تفوقك
ويضاعف المدح الذي كاله الفرنسي
لشهرتك ؛ وبمجمل القول ، سنجمع بينكما
ونراهن على رأسيكما . ولما كان هاملت لامبالياً ،
كريم الطبع ، لا تعرف نفسه الخديعه ،

* كان القدماء يعتقدون ان كل زفرة تكلف المرء نقطة من الدم . ولعل في قولنا « ذهبت نفسه حسرات » شيئاً من هذا الاعتقاد .

فانه لن يـــدقق النظر في السيفين ! وعندها بكثير من اليسر
او بشيء من الحيلة ، لك أن تختار
سيفاً غير مفلول ، وبطعنة ٍ غادرة
تجعل منه بديلاً لابيك .

لرتيس : سأفعل ذلك .
وتحقيقاً لمأربي ؛ سأطلي نصف سيفي .
لقد ابتعت من طبيب مرهماً
زعافاً ، اذا غمست َ فيه مدية ً
فان لا ُضمادة في الدنيا (وإن يجتمع فيها
كل َعقـّار ٍ احتوى دواءه في ضوء القمر *)
بمنجية ٍ من الموت من ُيجرح بها ،
وإن لم يكن الجرح إلا خـــدشاً طفيفا . سأصل رأس سيفي
بهذا الوباء ، فاذا لم أصب منه الا ُخماشة ً
كان فيها حتفـُه المحقق .

الملك : لنـُعمل ِ الفكر َ في ذلك ،
ونزن ِ الملائم من الوقت والوسيلة
مما يمدّنا بالعون في خطتنا . فاذا كنا سنخفق فيها
ويبين قصدنا خلال فعلتنا الخاسرة
فخير لنا الا نحاول تنفيذها . علينا إذن
ان ندعم هذه الخـُطـّة بثانية تصيب الهدف
إذا تفرقعت الأولى دون طائل . مهلاً ، لنرَ ـــ

* كان المعتقد ان العقاقير اذا جمت في ضوء القمر اشتدّ مفعولها

سنُراهِنُ مطمئنين على قدرتك ...
آ ، هكذا :
عندما تحميان وتعطشان لشدة الحركة ــ
زِدْ من عنف هجماتك لهذه الغاية ! ــ
ويطلب ماءً ليشرب ، سأكون قد هيأت له
كأساً خاصة بذلك : فاذا رشف منها ولو رشفة واحدة ،
ان نجا صدفةً من طعنتك المسمومة ،
تحقق فيها الغرض .
(تدخل الملكة)
ما وراءكِ ايتها الملكة العزيزة ؟

الملكة : ويلٌ يقفو إثر ويل ــ
تتلاحق الويلات سراعاً ! أختك غرقت يا لرتيس .

لرتيس : غرقت ! أين ، أين ؟

الملكة : هناك صفصافة * مالت بفرعها فوق غدير
يعكس اوراقها البيض في سيله الزجاجي ــ
هناك ذهبت اوفيليا بأكاليل غريبة
من البابنج والحلاح والاقحوان والزنبق الارجواني
الذي يدعوه الرعاة بلا حياء باسم غليظ
وتسميه صبايانا الباردات « أناملَ الموتى » :
فلما راحت تتشبث بالشجرة لتعلق تيجان ورودها
على الأغصان المتأرجحات ، غدر بها فنَنٌ حسود
وانكسر ،
وإذا هي تهوي مع شاراتها العشبية

---

* الصفصافة من رموز الهوى البائس والحب الحزين .

الى الغدير الباكي الحزين . فانتشرت ثيابها على الماء
وحملنها كعذراء البحر برهة من الزمن
جعلت فيها تغني مقاطع من ألحانٍ قديمة ،
كأنها لا تعي محنتها
او كأنها من أهل الماء قد عُوِّدت عليه .
ولكن ما لبثت ثيابها ، بعد أن ثَقُلت بشُربها ،
ان نزلت بالمسكينة البائسة من حنون أنغامها
الى حتفها في الطين .

لرتيس : والماه ، أغرقتْ اذن ؟

الملكة : غرقتْ ، غرقت .

لرتيس : ما أغزر ما أنتِ فيه من ماء يا أوفيليا ،
فلأمنع دمعي أنا . ولكن ذلك
دأبنا ، ولن تتنحّى الطبيعة عن فطرتها ،
مهما يقل العائبون . وحين تكفّ هذه ،
ستبرز المرأة التي فيّ * . وداعاً يا مولاي .
في فمي كلام من لهيب يود لو يضطرم
لولا ان ضعفي هذا يطفئه . (يخرج باكياً)

الملك : لنتبعه يا غرترود .
بذلت الجهد لتسكين ثائرته ،
وأخشى الآن ان يثيرها هذا من جديد .
فلنتبعه اذن .

(يخرجان)

* الكثرة ما سيبكي .

الفصل الخامس

المشهد الاول

ألسينور . في مقبرة في فناء الكنيسة .

يدخل مهرّجان (حفارا قبور) ، ومعهما عدة الحفر .

المهرج الأول: إذا سعت امرأة الى خلاصها بارادتها ، أتدفن دفناً مسيحياً ؟

المهرج الثاني : أقول لك نعم ، ولذلك هلمّ فاحفر قبرها . فقد نظر في أمرها المحقق وقرر لها دفنة مسيحية .

م اول : كيف يكون ذلك،الا اذا كانت قد أغرقت نفسها دفاعاً عن نفسها ؟

م ثان : هذا ما تقرر .

م اول : لا بد أنه دفاع عن النفس ، لا غيره . لأن نقطة البحث هي هذه : اذا أغرقت نفسي عن قصد، كان ذلك فعلاً . وللفعل ثلاثة فروع، هي: الفعل والعمل والتنفيذ . إذن ، فهي قد اغرقت نفسها عن قصد .

م ثان : ولكن اسمع يا أخانا الحفّار ـــ

م اول : أرجوك ، لحظـة . هنا الماء ، تمام ؟ وهنا يقف الرجل، تمام؟ فاذا راح الرجل الى هذا الماء وأغرق نفسه فيه ، فهو رائحٌ شاء ام لم يشأ . أترى ؟ أما اذا راح الماء اليه واغرقه، فهو لم يُغرق نفسه، اذن، فالبريء من موته ، لم يقصف عمر نفسه .

م ثان : وهل هذا قانون ؟

م أول : بالطبع . انه « قانون تحقيق الوفيات » .

م ثان : اتريد الصدق ؟ لو لم تكن هذه السيدة من النبيلات ، لما سمح لها بدفنة مسيحية .

م اول : كلامك صحيح . من المؤسف أن لكبراء الناس في هذه الدنيا الحق في أن يُغرقوا أو يَشنقوا انفسهم اكثر من اخوانهم في الدين . هلمّي يا مسحاتي . ليس في الدنيا نبيل حسيب الا البستاني وحفار الخنادق وباني القبور . انهم يحافظون على مهنة جدنا آدم .

م ثان : أكان آدم من النبلاء ؟

م اول : كان اول من ملك الارض * .

م ثان : ولكنه لم يملك الارض .

م اول : أكافر أنت ؟ كيف تفهم الكتاب المقدس ؟ يقول الكتاب المقدس ان آدم حفر . وهل يحفر من لا يملك الارض؟ سأسألك سؤالاً آخر ، فاذا لم تعطني الجواب الصحيح ، عليك ان تعترف ـ

* عند شكسبير توريات لا يمكن نقلها الى العربية ، هنا واحدة منها استعضت عنها بهذه العبارة .

م ثان : طيّب ، طيّب .

م اول : من هو الذي اذا بنى كان بناؤه أقوى من البنّاء والنجار وصانع السفينة ؟

م ثان : باني المشنقة . لان المشنقة يموت فيها ألف رجل ولا تنهدم .

م اول : يُعجبني والله ذكاؤك . فالمشنقة تحسن الفعل . ولكنها تحسن الفعل لمن ؟ تحسن الفعل لمن يسيء الفعل . وأنت تسيء الفعل بقولك ان المشنقة اقوى بناءً من الكنيسة . إذن ، فالمشنقة قد تحسن الفعل لك ايضاً ! هيّا ، اسألني انت .

م ثان : من الذي يبني أقوى من البنّاء والنجّار وصانع السفينة ؟

م اول : قل لي أنت ، وحِلّ عني .

م ثان : سأقول !

م اول : هيّا .

م ثان : آ ، والله لا أعرف .

(يدخل هاملت وهوراشيو من بعيد)

م اول : لا تكسّر دماغك في البحث . فالحمار البليد لن يحسن السير مهما ضربته بالعصا . اذا سئلتَ هذا السؤال يوماً ، قل : باني القبور . فالبيوت التي يبنيها تدوم حتى القيامة . إذهب الى « يُوان » وجئني بزجاجة من الشراب .

(يخرج المهرج الثاني)

(يغني وهو يحفر)

يا غرامي في شبابي
آه ما أحلى غرامي
مُنْيتي كانت وصالاً
علّه شافٍ سقامي

هاملت : أليس يشعر هذا الرجل بما تصنع يداه ، فيغني وهو يحفر قبراً ؟

هوراشيو : كلا . انما اليد القليلة العمل هي التي يَرْهُف حسُّها.

المهرج الاول : (يغني وهو يحفر)

راح يومي يا إلهي
دبّ شَيْبٌ في عظامي
أين وليتَ ، زماني ،
بشبابي وهيامي ؟

(يتناول جمجمة من التراب ويقذف بها)

هاملت : كان في تلك الجمجمة يوماً لسانٌ يستطيع الغناء . انظر كيف يلقي بها ارضاً هذا الوغد ، كأنها فك قايين ، اول من اقترف القتل . لعلها قحف أحد الساسة الدهاة يعلوه الآن هذا الحمار ـــ أحد الساسة الذين يحاولون الكيد حتى لربّ العباد !

هوراشيو : محتمل ذلك ، يا مولاي .

هاملت : أو لعلها جمجمة احد رجال البلاط التي بوسعها ان تقول : « السلام عليكم يا سيدي الكريم ، كيف حالكم يا مولاي العزيز ؟ » وهذه لعلها مولاي فلان

الذي أشاد بمدح حصان مولاي علتـان عندما كان
يستجديه حصانه . اليس كذلك ؟

هوراشيو : بلى يا مولاي .

هاملت : وهنا الآن جمجمة سيدتي المصون دودة ، وقد سقط
شدقها وضُربت هامتها بمسحاة دفان . هذه احدى
دورات الفلك الرائعة ، لو كان لنا في رؤيتها حيلة .
ألم تكلف هذه العظام في نشأتها اكثر من ان نعبث
بها بالقدم ؟ ان عظامي لتتوجع في تأمل ذلك .

المهرج الاول (يغني) :

هاتوا مسحاةً وفأساً
كفـّنوا الآن ُحطامي
واحفروا لي في الترابِ
حفرةً فيها سلامي

يقذف (يقذف بجمجمة اخرى)

هاملت : وهاك اخرى . لم لا تكون تلك جمجمة محـام ؟ اين
سفسطته الآن ؟ وتورياته ؟ وقضـاياه ؟ وعقوده ؟
وألاعيبه ؟ لمَ يسمحُ الآن لهذا الجلف الفظ بضربه
على يافوخه برفش قذر ، ولا يهدده برفـع دعوى
تهجمٍ واعتداء ؟ لعل صاحبنا هذا كان في زمانه ممن
يشترون الاراضي الفسيحـة ، برهونه والتزاماته
واستقطاعاته وكفلائه وتحويلاته . اهذه قطيعـة
استقطاعـاته وتحويلة تحويلاته ــ ان يمتلىء قحفه
المحترم بتراب محترم ؟ ألن يكفـله كفلاؤه في
مشترياتـه ، وهم يكفلونه زوجاً زوجاً ، بأكثر من

طول وعرض عقدين او ثلاثة ؟ لا يكاد هـذا التابوت يتسع لتسجيلات أراضيه . وهل يجوز ألا يحظى المالك بأكثر من ذلك ؟ ها ؟

هوراشيو : لا ، حتى ولو شبراً واحداً يا مولاي .

هاملت : أليس رق العقود * من جلد الخراف ؟

هوراشيو : بلى يا مولاي ، ومن جلد العجول ايضاً .

هاملت : كل من ينشد فيها ضماناً فهو من الخراف والعجول . أريد الحديث مع هذا الرجل ... قبر من هـذا يا سيد ؟

المهرج الاول: قبري ، يا سيدي :

واحفروا لي في التراب
حفرة فيها سلامي .

هاملت : انه قبرك ولا ريب . فانت فيه .

م اول : أنت لست راقداً فيـه يا سيدي ، فهو لذلك ليس قبرك .
أما أنا فلا أرقد فيه ، وهو رغم ذلك قبري .

هاملت : من هو الرجل الذي تحفره له ؟

م اول : لا لرجل احفره يا سيدي .

هاملت : اذن من هي المرأة ؟

م اول : ولا لأمرأة ايضاً .

هاملت : من سيدفن فيه ؟

م اول : مخلوق كان يوماً امرأة . ولكنها ميتة ، رحمها الله .

---

* كانت العقود في عصر شكسبير تدون على رقوق .

هاملت (لهوراشيو) : ما أدقّ هـذا الرجل ! علينا ان نكلمه بأضبط الالفاظ والا قضى علينا اللبس والابهام .
والله يا هوراشيو لقد لاحظت في السنوات الثلاث الاخيرة ان العصر غـدا من الفصاحة بحيث جعل أخمص الفلاح يداني عقب النبيل ويرضّ دمامله .
[للهرج] منذ متى صرتَ صانعاً للقبور ؟

م اول : من أيام السنة كلها ، جئت هـذه المهنة يوم تغلب ملكنا المرحوم هاملت على فرتنبراس .

هاملت : وكم من الزمن مرّ على ذلك ؟

م اول : ألا تعرف ؟ ما من أبله الا ويعرف . كان ذلك يوم وُلد الفتى هاملت ــ وهو الذي قـد جُنّ وأرسل الى انكلترا .

هاملت : اي والله . ولمَ أُرسل الى انكلترا ؟

م اول : لأنه مجنون . وهنـاك سيسترجع عقله . واذا لم يسترجعه ، فلا بأس عليه ايضاً .

هاملت : لماذا ؟

م اول : لأنهم هناك لن يروا جنونه فيه ، فكلهم مجانين مثله.

هاملت : وكيف جُنّ ؟

م اول : يقولون ، على نحو غريب .

هاملت : أي نحو غريب ؟

م اول : بأن فقد عقله .

هاملت : في أي ظروف ؟

م اول : هنا في الدانمرك . فقد قضيت هنا كدفّان ثلاثين سنة ، منذ ان كنت صبياً .

هاملت : كم من الزمن يمر على الانسان وهو دفين قبل ان يفسد؟
م اول : والله اذا لم يكن فاسداً قبل ان يموت ـ ولدينا هذه الايام جثث كثيرة تكاد لا تتحمل انزالها في التراب ـ فانه يبقى ثماني او تسع سنوات . فالدباغ مثلاً يبقى دون فساد تسع سنوات .
هاملت : لم الدباغ دون سواه ؟
م اول : لأن جلده مدبوغ بحرفته دبغاً يمنع عنه المـاء لمدة طويلة . وصاحبنا الماء مفسد لعين للجسد الميت ابن الزانية . هذه جمجمة . لقد قضت هذه الجمجمة في التراب ثلاثا وعشرين سنة .
هاملت : ومن كان صاحبها ؟
م اول : مخبّل ابن زانية ! مَن تظن ؟
هاملت : لست ادري .
م اول : قاتله الله من مخبّل ماكر ! سكب مرةً ابريق خمر على رأسي ! هذه الجمجمة بعينها يا سيدي ، هـذه الجمجمة بعينها كانت جمجمة «يوريك» ، مضحك الملك .
هاملت : هذه ؟
م اول : اي والله هذه .
هاملت : دعني أراها . [يتناول الجمجمة] لهفي عليك يا يوريك! كنت أعرفه يا هوراشيو ، رجلاً لا حد لنكتته ، ولا يُضاهى في براعته . لقد حملني على ظهره الف مرة ومرة . أما الآن ، حين اتخيل ذلك ، فما ابغضه امرأً الى نفسي ! هنا كانت الشفتان اللتان قبلتهما لست أدري كم مرة . أين لواذعك الآن ؟ وقفزاتك

الفرحـــة ؟ واغانيك ؟ ولمعات فكاهتك التي كان يستلقي لها الآكلون على ظهورهم من الضحك ؟ أما من فكاهة واحدة تسخر الآن من تندُّرك ؟ اهكذا سقطت فكك ؟ بربك توجه الآن نحو غرفة سيدتي وقل لها : لئن تكثفي الصبغ أصبعين ، فما نهـــاية وجهك الا هذه. فلتضحك هي من ذلك! أرجوك، يا هوراشيو ، أخبرني .

هوراشيو : بماذا يا مولاي ؟

هاملت : اتعتقد ان الاسكندر آل الى مثل هذا في التراب ؟

هوراشيو : لا ريب .

هاملت : وخبثت رائحته كهذه . أف ! [يضع الجمجمة من يده]

هوراشيو : لا ريب يا مولاي .

هاملت : ما احطّ ما قد نؤول اليه يا هوراشيو ! أفلا يجوز للخيـــال ان يتعقب اثر الاسكندر وترابه النبيل الى ان يلقاه سداداً لِدَنّ ؟

هوراشيو : انه لتأمل غريب تأملك على هذا الشكل .

هاملت : لا ، أبداً ! فبامكاننا ان نتعقبه الى غـــايته دون مبالغة قـــد تفسد الاحتمال ، هكذا : الاسكندر مات ، الاسكندر دفن ، الاسكندر عاد الى تراب ، ومن التراب نصنع الطين ، فلماذا يستبعـد ان يسد بعضهم بذلك الطين (الذي تحوّل الاسكندر اليه) دناً من دنان الخمر ؟

إن يمت قيصر على رحب سلطانه ليغدو طينةً
ربما سدّ جُحراً لصدّ ريحٍ باردة :

ليت التراب ذيّاك الذي أرهب الدنيا كلها
يلأم صَدْعاً في الجدار لدرء هبّات الشتاء !
ولكن لنخفض الصوت وننزوِ جانباً . أرى الملك قادماً .

[يدخل جماعة يحملون نعشاً ، والملك والملكة ولرتيس وبعض افراد الحاشية ، يتبعهم كاهن .]

الملكة ، ورجال البلاط ! ترى من ذا الذي يشيعونه
وبهذه المراسيم المبتورة ؟ ذاك دليل على ان صاحب
الجثمان الذي يشيعونه قد قضى بيده اليائسة على
حياته . وقد كان على شيء من سموّ المنزلة .
لنختبىء هنا لحظتين ونراقب القوم . [ينسحبان]

لرتيس (للكاهن) : وماذا بعد من مراسيم ؟

هاملت : ذاك لرتيس ، وهو فتى عظيم النبل . انظر .

لرتيس : وماذا بعد من مراسيم ؟

الكاهن : لقد توسّعنا بجنازتها
على قدر ما يُسمح به . كان موتها موضع شك
ولولا ان امر جلالته يطاول سنّة الكنيسة
لتحتم إثواؤها في ارض غير مقدسة
الى ان يُنفخ في الصور . وعوضاً عن صلاة الرحمة
لوجب أن نهيل عليها الصوان والحصى والجرار المحطمه .
ومع ذلك فها هي قد أذن لها بأكاليلها العذريه
ونثار زهور الصبايا ، والمجيء بها
لمثواها ودفنها .

لرتيس : أما من مزيد من الطقوس ؟

الكاهن : كلا . إن نرتّلْ لها ترتيلة الراحة الابديه

التي تُرتّل للراحلين في سلام ،
ندنّسْ صلاة الموتى .

رئيس : أنزلوها الى القبر ،
وليَنمُ البنفسج من جسدها الطاهر الجميل .
قسماً أيها الكاهن الغليظ ، إن اختي
ملاكاً في السماء ستمسي
يوم تعْول أنت وتولول في الجحيم !

هاملت : ماذا ؟ أأوفيليا الجميلة ؟

الملكة (وهي تنثر الزهور على نعش اوفيليا) : الشذا للشذيّ . وداعاً !
أملتُ ان تصبحي لابني هاملت زوجة ،
وظننت انني فراش زفافِك سأزيّن ، يا أحلى العذارى ،
لا على قبرك أنثر الزهور .

رئيس : ألا حلت الويلات مثلثةً ،
بل عشرَ مرات مثلثة ، على ذلك الرأس اللعين
الذي بفعلته النكراء ضيّع منكِ
الرشاد والعقل ! لا تُهيلوا الترابَ لحظة
ريثما أحتويها مرة اخرى بين ذراعيّ .
(يقفز الى القبر)
كوّموا الآن التراب على الحيّ والمَيْتِ معاً ،
أو تجعلوا من السهل هذا جبلاً
يطاول قمة « پليون » * أو هامَ الأولمب * الازرق

* پليون ، من جبال تساليا في اليونان ، كان يعلوه في العصور القديمة هيكل لزفس ، وعلى سفوحه غابة مكرسة له . والأولمب سلسلة من الجبال تفصل بين تساليا ومقدونيا . لعلوّ الاولمب كانت قمه ، في اساطير الاغريق ، تعد مسكن الآلهة .

الناطح سحاب السماء !

هاملت (متقدماً وصائحاً) : من ذا الذي استبدت به
آلامه استبداداً كهذا ، وراحت أقوال حزنه
تستحلف الكواكب السيارة أن اسمعي ، فتوقفت
كمصغيات مجرّحات بالعجب ؟ ها أنذا
هاملت الدانمركي !

(يقفز هاملت الى القبر وراء لرتيس)

لرتيس : أخذ الشيطان روحك !

هاملت : دعاؤك ليس بخير .
ارجوك ان ترفع اصابعك عن حنجرتي .
سيدي ، قد لا اكون غضوباً طائشاً
غير أن فيّ مكامن ملؤها الخطر
كُن حكيماً واخْشَها . ارفع يدك !

الملك : فرّقوا بينهما .

الملكة : هاملت ، هاملت .

الجميع : ايها السيدان —

هوراشيو : هدىء الروع ، مولاي الكريم .

(يباعد الحاضرون بينهما ، ثم يخرجان من القبر)

هاملت : والله لأصارعنّه بهذا الشأن
حتى تعجز عن الرفّ مقلتاي !

الملكة : واولداه ! أي شأن تعني ؟

هاملت : لقد احببتُ اوفيليا . اربعونَ الفَ أخٍ
بمجموع حبهم لن يساووا
مقدار حبي أنا ، ما الذي تريد فعله من أجلها ؟

الملك : انه مجنون يا لرتيس !

الملكة : بربكم أبعدوه !

هاملت : هيّا أرني ما الذي تريد فعله .
أبُكاءً تريد ؟ أقتالاً ؟ أصَوْماً ؟ أتمزيقاً لنفسك ؟
أخلاً ستجرَعُ ؟ اتمساحاً ستأكل ؟
سأفعل ذلك ! هل أتيت هنا لتئنّ وتتأوّه ؟
لتبزّني بالقفز الى قبرها ؟
لتُدفن حيّاً معها ؟ سأفعل ذلك ايضاً !
ولئن كنت تهذر عن الجبال ، فليُهيلوا
ملايين الفدادين علينا ، حتى اذا ما اشتعلت
الهامة من أرضنا في مدار اللهيب
بانَ «أصا» * كالخال إزاءَها . واذا اردت التشدّق
فانني أتشدّق مثلك !

الملكة : إنها ساعة جنون ، لا اكثر .
تفعل النوبة مدةً فيه فعلها ،
ثم يهدأ كالحمامة حين تفقس فرختاها بلون الذهب
ويستقرّ به صمته وسكونه .

هاملت : اسمع يا سيدي .
ما السبب في موقفك هذا مني ؟
كنت دوماً أحبك . ولكن لا بأس .
حتى هرقلُ ، مهما أتى من خوارق ،

---

* جبل آخر في تساليا . في اساطير الاغريق ان العمالقة عند محاربتهم الآلهة ارادوا التسلق الى السماء بتركيب « أصا » على « بليون » .

ماءت القطة له، وأصرّ الكلبُ على النباح طوال يومه!

(يخرج هاملت)

الملك : أرجوك يا هوراشيو أن ترافقه .

(يخرج هوراشيو)

[الى لرتيس] مزيداً من الصبر على حديثنا البارحة :
سندفع بالأمر الى التنفيذ فوراً .
غرترود عزيزتي ، ضعي على ابنك بعض الحراسة .
سأجعل لهذا الضريح نُصَباً حياً خالداً .
قريباً سنرى ساعة من الطمأنينة .
فحتى ذلك الحين ليكن سيرنا صبراً وأناة .

(يخرجون)

المشهد الثاني

في إحدى ردهات القلعة

يدخل هاملت وهوراشيو

هاملت : حسبي ما قلتُ عن هذا يا سيدي . أمـا القضية الاخرى —
اتذكر الظروف كلها ؟

هوراشيو : أذكر الظروف يا مولاي ؟

هاملت : نشب في قلبي صراع ، يا سيدي ،
لم يتِـح لي إغماضةَ جفن . لقد خيّـل إليّ
أنني أسوأ حالاً من عُصاةٍ مكبلين بالحديد .

وطيشاً مني —
نحمد الله على الطيش من أجل ذلك ، ولنعلم
ان النزق أحياناً يُجزل لنا الفائدة
إذ تخفق خططنا العميقة ، فندرك بذلك
ان ثمة ألوهة تصوغ لنا غاياتنا
مهما عَشَوْنا نحن في نحتها —

هوراشيو : لا ريب في ذلك .

هاملت : نهضت من قمرَتي ،
مدثراً بثوبي البحريّ في الظلام
وخبطت خبطاً في بحثي عنهما ، فعثرت على بغيتي ،
واختلست طردهما ، وأخيراً انسحبت الى
غرفتي من جديد ، واجترأتُ
(وقد تَسيَتْ مخاوفي الادب) على فضّ
تفويضهما الجليل ، واذا بي أرى ، يا هوراشيو —
يا للنذالة الملكية ! — أمراً صريحاً
حَشْوُه انواع شتى من الاسباب والعلل ،
تدور حول صحة ملك الدانمرك ، وملك انكلترا ،
مع الوعيد بالمَرَدة والغيلان إن انا بقيت حياً
قائلاً ألا أُمهل فور قراءة الرسالة
ولو ريثما تُحدُّ الفأس ،
بل يضرب عنقي في الحال .

هوراشيو : أممكن ذلك ؟

هاملت : هذا هو التفويض . اقرأه عندما يتسع لك الوقت .
ولكن أتريد ان تسمع ماذا فعلت ؟

هوراشيو : أرجوك .

هاملت : حين وجدت الانذال يحيطون بي إحاطة الشبكة
وقبل أن أمهّد لذهني بمقدمة ،
كان قد شرع بمسرحيته . فجلست
ولفقت تفويضاً جديداً ، وتأنقت بكتابته :
كنت أرى فيما مضى كأصحابنا رجال السياسة ،
أن من الحطة ان يتأنق المرء في الخط ، وأبذل الجهد
لنسيان ما تعلمت ، غير أن خطي ، هذه المرة ،
أسعفني خير إسعاف . أتريد ان تعلم
خلاصة ما كتبت ؟

هوراشيو : أجل ، يا مولاي الكريم .

هاملت : رجاءٌ حارّ من الملك ،
حيث أن ملك انكلترا من مواليه المخلصين ،
وحيث ان الحب قائم بينهما ، وحيث أن غصن
الزيتون يجب ان يزدهر ،
وحيث أن السلم يجب أن يتكلل دوماً بأكاليل
من السنابل
وتبقى صلة وصل بين مودتيهما ،
وغير ذلك من «الحيثيات» المشحونة بالمعاني الكبار ،
فعليه عند الاطلاع على هذه المحتويات
دون أي مماطلة او تأجيل
أن يَعدِمَ في الحال حامِلَيْ هذا الكتاب
ولا يسمح لها بوقت للاعتراف .

هوراشيو : وكيف ختمته ؟

هاملت : حتى في ذلك أعانتني مقادير السماء :
فقد كنت أحمل خاتم أبي في كيسي ،
وهو نسخة عن ذلك الختم الدانمركي .
فطويت الكتاب على نحو الكتاب الاول ،
ووقعته ، وختمته ، ووضعته في مكانه سالماً
ولم يكتشف احدٌ البديل . وأتفق في اليوم التالي
ان وقعت الواقعة البحرية ، وما جرى بعد ذلك
تعرفه أنت .

هوراشيو : اذن فان غلدنسترن وروزنكرانتز قد أكلاها ؟

هاملت : يا رجل ، كانا والله يتعشقان هذه المهمة ،
فليس بينهما وبين ضميري أية ُقربى ، وما عاقبتهما
الوخيمة هذه
إلا لأنهما اقحما نفسيهما في الأمر إقحاماً .
من الخطر على ذي الطبيعة الرخيصة ان يضع نفسه
بين الطعنات من نصلين مغضبين عاتيين
في يدي غريمين جبّارين .

هوراشيو : أي ملكٍ هذا !

هاملت : أما تظن ان الأمر قد تحتم عليّ ؟
هذا الذي قتل َملِكي ، وَمو ْمَس أمي ،
وانتصب حائلاً بين العرش وبين آمالي ،
وألقى بصنّارته يطلب حياتي نفسها –
وبأيّ مكر وخديعة ! – أفلا يتفق ونقاء الضمير
أن اودي به بذراعيَ هذه ؟ اوَ لا اكون لعيناً
إن أنا سمحت لهذه السوسة الناخرة في طبيعتنا

بتحقيق شر جديد ؟

راشيو : لا ريب ان ملك انكلترا سيُعلمه عما قريب
بنتيجة ما جرى هناك .

ملك : الوقت قصير : وهذه الفترة لي ،
وما عمر الانسان باطول من ان نقول : « واحد » .
بيد أنني شديد الأسف ، يا عزيزي هوراشيو ،
على انني مع لرتيس نسيتُ نفسي .
لانني في انعكاس قضيتي ارى
صورته . سأخطب ودّه .
ولكن التفاخر بحزنه دفع بي
الى نزوة عملاقيةٍ من الغضب .

هوراشيو : لحظة . من القادم هنا ؟

(يدخل اوسرك *)

اوسرك [يخلع قبعته وينحني] : اهلاً ومرحباً بسموكم وقد عدتم الى الدانمرك .

هاملت : انني بكل تواضع اشكر لك لطفك . [جانباً لهوراشيو] أتعرف ذبابة الماء هذه ؟

هوراشيو : كلا يا مولاي .

هاملت : اذن فقد أنعم الله عليك ، لأن معرفة هذا الرجل رذيلة . انه صاحب اراض شاسعة ، وكلها خصبة ممرعة . أينما وُجد حيوان هو سيد الحيوانات رأيت

---

* في شخص اوسرك يتهكم شكسبير على بعض رجال بلاط الملكة اليزابث . فأوسرك يتكلم بتكلف وتصنع عُرف بها افراد حاشية القصر ، لا سيما السيدات منهم .

معلفه على مائـــدة الملك . انه غراب ، ولكنه كما قلت ، يملك الشواسع من القذارة .

اوسرك : مولاي الكريم ، ان كان في صـــداقتكم متسع ، اطلعتكم على أمرٍ أناطه بي صاحب الجلالة .

هاملت : وإني لاتقبله بكل جِد وعزم . أعـدْ قبعتك الى ما صُنعت له . انها للرأس * .

اوسرك : شكراً يا صاحب السمو . ولكن الطقس حار .

هاملت : بل صدقني ، انه بارد جداً . فالريح شمالية .

اوسرك : يقيناً يا مولاي انه بارد بعض الشيء .

هاملت : يخيل إليّ أنه لاهب جداً ، أم ان حالتي البدنية ــ

اوسرك : جداً يا مولاي . انه لاهب جـــداً ، كأنه ــ لا استطيع وصفه ! ولكن صاحب الجلالة يا مولاي قد أمرني ان احيطكم علماً بأنه قد راهن على رأسكم رهاناً بالغاً . اليكم القضية ــ

هاملت : بربك تذكّر ــ [يحاول ان يجعله يلبس قبعته] .

اوسرك : لاّ ، بالله عليكم ، ولو من أجل راحتي . ــ سيدي ، في الآونة الاخيرة جـاءنا الى البلاط لرتيس . انه والحق يقال سيد اصاب من الشهامة غايتها ، وما ديدنه ألاّ أسمى المزايا . وهو ، عافاكم الله لطيف المعتشر ، فائق المظهر . بل انه ، اذا قلنـــا فيه قولة الحس والانصاف ، دفترٌ لآداب السادة وصفاتهم . وإنكم فيه لواجدون المحتوى الكامل لكل مـــا يودّ النبيل

* كانت آداب البلاط تقتضي ان يقف الادنى منزلة حاسر الرأس امـــام من يعلوه منزلة . ولذا يرتبك اوسرك .

الاقتداء به .

هـامـلت : سيدي ، ان نعتك اياه لا يعـاني فيك نقصاً او ضياعاً ، ولو أنني أعلم اننا لو أردنا تفصيله تعـداداً لَتداخت الذاكرة في حسابه وترنحت لسرعـة اقلاعه . ولكنني مصداقاً لمدحه واكباره اقول انه امرؤ عظيم القدر ، يموج بسجايا العز والندرة بحيث ، اذا أردنا صحة الوصف، لن نجد مثيله الا في مرآته ، وكل من يبغي الاقتداء به ليس الاّ ظلاً باهتاً من ظلاله * .

اوسرك : احسنتم الوصف يا صاحب السمو !

هاملت : وشاهد القول يا سيدي ؟ لِمَ نحيط صديقنـا النبيل بانفاسنا الفجة ؟

اوسرك : سيدي ؟ —

هوراشيو : أتعجز عن الفهم بلسان آخر ؟ سيدي ، لا شك ان ذلك لن يستعصي عليك .

هاملت : وما المقصود من ذكر هذا النبيل ؟

اوسرك : أتعني لرتيس ؟

هوراشيو (جانباً لهاملت) : لقد فرغ كيسه وانفق ألفاظه الذهبية كلهـا .

هاملت : اياه أعني يا سيدي .

اوسرك : أنا أعلم أنك لا تجهل —

هاملت : ليتك تعلم ، يا سيدي ، ولكن وأن تكن تعلم ، فلن

---

* هاملت هنـا ، بالطبع ، يقلد اوسرك في تنطعه ويسخر من اسلوبه ، ويكاد يفحم اوسرك .

يهمني ذلك والله في كثير او قليل .

اوسرك : انك لا تجهل تفوق لرتيس –

هاملت : لا اجرؤ على الاعتراف بذلك ، لئلا اقارَن به تفوقاً . اذا أجاد المرء معرفة غيره فقد عرف نفسه .

اوسرك : اعني بالسلاح يا سيدي . ومما يعزى اليه ، أنه لا صنو له في تفوقه .

هاملت : وما سلاحه ؟

اوسرك : السيف والخنجر .

هاملت : ذانك اثنان من اسلحته . ولكن ، حسناً .

اوسرك : لقد راهنه الملك على ستةٍ من خيل البربر ، مقابل (على مافهمت) ستة سيوف وخناجر فرنسية مع ملحقاتها ، كالنطاق والسّير وغير ذلك . والحق ان ثلاثة من هذه الحمائل لطيفة الصورة، سريعة الاستجابة للمقابض . انها حمائل منمنمة، سخية التنمق والتطريز .

هاملت : وما هي هذه التي تسميها بالحمائل ؟

هوراشيو (جانباً لهاملت) : كنت اعرف انك ستستنير بالشرح قبل ان تنتهي .

اوسرك : الحمائل يا سيدي هي السيور .

هاملت : لكانت اللفظة أدنى صلة بمدلولها لو استطعنا حمل المدافع على جوانبنا . فأرجو ان نقول «سيور» حتى ذلك الحين . وبعد ؟ ستة خيول بربرية مقابل ستة سيوف فرنسية مع ملحقاتها وثلاث حمائل سخية التنميق : ذلك هو الرهان الفرنسي مقابل الرهان الدانمركي . وما الداعي الى هذه المقامرة ؟

اوسرك : لقد راهن الملك على ان لرتيس في اثنتي عشرة جولة

بينك وبينه لن يفوقك بأكثر من ثلاث اصابات * .
فراهن على اثنتي عشرة اصابة مقابل تسع اصابات .
وهو يأمل ان تقام المبارزة في الحال ، اذا تكرمتم
سموكم بالجواب .

هاملت : واذا كان جوابي « كلا » ؟

اوسرك : اعني يا مولاي نزولكم الى المبارزة .

هاملت : سيدي ، سأتمشى هنا في القاعة، إن يأذن لي جلالته،
فهذه الفترة من النهار عندي فترة الرياضة . فليأتوا
بالسيوف ، فاذا كان السيد مستعداً والملك متمسكاً
بما يريد ، سأكسب له المبارزة اذا استطعت . واذا
خسرت ، فلن اكسب الا العار ، وعدداً من
الاصابات .

اوسرك : أأقول ذلك عنك ؟

هاملت : قل ما معناه ذلك ، بالحذلقة التي يشاؤها طبعك .

اوسرك : أرفع ولائي لسموكم .

هاملت : ولكم . [يخرج اوسرك] انه يحسن فعلاً برفع ولائه
بنفسه ، اذ لن ينطق عنه لسان آخر .

هوراشيو : هذا الفرخ ينطلق راكضاً وقشرة البيضة ما زالت
على رأسه !

---

* يبدو ان المبارزة تتألف من اثنتي عشرة « جولة » ، والجولة تحددها « الاصابة » الاولى . ويراهن الملك على هاملت ، بأن لرتيس لن يغلبه بأكثر من ثلاث اصابات . فتبدأ المبارزة وقد حسب لهاملت مسبقاً ثلاث اصابات ازاء غريمه . ولو كان اوسرك اقلّ سخفاً في كلامه لقال ان الرهان هو بنسبة ١٢ الى ٩ .

هاملت : لا ريب أنه تمسّك بالآداب إزاء ثدي أمه قبل ان يرضع منه! انه وأمثاله من هذا الفصيل، ممن يعشقهم زمن الحثالات هذا ، لم يكتسبوا الا نبرة العصر ومظاهر اللقاء والتحية ، وهي أشبه بعادات يغشوها الزَبَد والفقاقيع ، تُقلع بهم خلال كل رأي ذرته الريح وسفّهه العقل . ولكن ما ان تنفخ عليهم لتمتحنهم حتى ترى فقاقيعهم تطير وتتلاشى .

(يدخل نبيل)

النبيل : مولاي ، لقد بعث جلالته اليكم برسالة مع الفتى اوسرك ، فعاد ليقول انكم تنتظرونه في القاعة . وهو يبعث الآن اليكم ليسأل أما زلتم تودون منازلة لرتيس ام تؤثرون التريث ؟

هاملت : انني مقيم على ما نويت . وما نويت يتفق ومشيئة الملك . فان يكن على أهبة ، فانيلكذالك، الآن او في اي وقت آخر ، شريطة أن اكون معافى كما أنا الآن .

النبيل : الملك ، والملكة ، وكلهم ، نازلون في طريقهم اليكم .

هاملت : اهلاً وسهلاً .

النبيل : والملكة ترجوك ان تقول للرتيس قولاً لطيفاً قبل البدء باللعب .

هاملت : انها تحسن النصح .

(يخرج النبيل)

هوراشيو : مولاي ، ستخسر هذا الرهان .

هاملت : لا اظن ذلك . منذ أن ذهبت الى فرنسا وأنا في

مران مستمر . سأكسب بما سيُحسب لي مسبقاً .
الا انك لن تعرف مبلــغ الالم الذي هنا ، حول
قلبي . ولكن لا عليك .

هوراشيو : مولاي العزيز !

هاملت : مزاحٌ ، ليس الا . بيد أنه ضرب من التوجس قد
يقلق امرأة .

هوراشيو : اذا أعرضتْ نفسُك عن شيء أطِعْها . سأوقف
مجيئهم الى هنا ، واقول لهم انك متوعّك الصحة .

هاملت : لا ، قطعاً . اننـا نتحدى العِرافة . حتى في سقطة
السنونو حكمة إلهية خاصــة . فان حدثت الآن ،
فهي ما كانت لتحدث في الغد، واذا لم تكن لتحدث
في الغد ، فهي حادثــة الآن ، واذا لم تكن الآن ،
فهي حادثة في الغد . الأهبة هي الكلّ ، ومـا من
انسان يملك شيئاً مما يخلّفه . وماذا لو رحنا مبكرين ؟

(يدخل حَمَلَةُ ابواق وطبول ، ورجــل يحمل وسادة
مخلية ، والملك والملكة ورجال الدولة ، وخـــدم يحملون
سيوفاً وخناجر ،ولرتيس وأوسرك. تتهيأ مائدة توضع عليها
أباريق خمر .)

الملك : تعال يا هاملت تعال ، وخذ هذه اليد مني .

(يضع الملك يد لرتيس في يد هاملت)

هاملت : صفْحَك يا سيدي ! لقد اسأت اليك ،
فاصفح انك الرجل النبيل .
هذا الحفل يعلم ،
وانت لا شك سمعت ، كيف انني ابتليت

بخلاطة في العقل أليمة . فان كنت فعلت
ما قد يستفز فيك الطبيعة والشرف والإباء ،
فها أنا على رؤوس الاشهاد أعلن انه كان الجنون .
أهاملت هو الذي اساء الى لرتيس ؟ ابـداً لم يكن
ذاك هاملت .

فاذا أخرج هاملت عن نفسه
ثم اساء ، وهو ليس نفسه ، الى لرتيس ،
فليس بهاملت من يأتي الاساءة، وها هاملت ينكرها .
من الذي يأتيها اذن ؟ جنونُه . واذا كان الأمر
كذلك

فان هاملت هو الطرف المساء اليه ،
وما عدوّ هاملت المسكين الا جنونه .
سيدي ، امام هذا الجمع ،
دع تبرؤي من اي شرٍّ مُبيَّتٍ مقصود
يُنصِـع صفحتي في الكريم من خواطرك ،
كأنني رميتُ سهمي عبر الدار
فجرحتُ أخي .

لرتيس : لقد رضيت ، مع ان حافز الطبيعه
في هذه القضية يدفعني الى طلب الثأر
أعنفَ الدفع . غير أني بنصوص الشرف
أقف منك على بعد ، ولن اقبل صلحاً
حتى يؤكد لي شيوخ القوم ممن عرفوا بالشرف ،
وقياساً على سوابق معروفة في الصلح ،
ان اسمي سيبقى سليماً من كل تجريح .

ولكنني حتى ذلك الحين
اتقبل ما عرضتَ من حُبٍّ كحُب
ولن اسيء اليه .

هاملت : وأنا أعانق ذلك منك ،
وألعب هذا الرهان الأخوي بطيبة خاطر .
هلموا . أعطونا السيوف .

لرتيس : هيّا ، سيفاً لي .

هاملت : سأكون الضدَّ لك يا لرتيس ، وجهلي
ستتوهج براعتك إزائي نارية كالكوكب في الليل البهيم .

لرتيس : انك تهزأ مني يا سيدي .

هاملت : لا وحق هذه اليد !

الملك : ناولهم السيوف يا اوسرك . يا ابن اخي هاملت ، عرفتَ الرهان ؟

هاملت : خيرَ معرفة يا مولاي
لقد راهنتم جلالتكم على أضعف الاثنين .

الملك : لست أخشى ذلك . فقد رأيت كليكما .
ولكنه اذ تحسّن ، حسبنا لك مقدماً .

لرتيس (يروز سيفا) : هذا ثقيل . أعطني آخر .

هاملت : هذا جيد . هل هذه السيوف كلها من طول واحد؟

(يستعدان للمبارزة)

اوسرك : نعم يا مولاي .

الملك : اجعلوا كؤوس الخمر على تلك المائدة .
اذا اصاب هاملت الاصابة الاولى ، او الثانية ،

او تعادل في الردّ في الجولة الثالثة ، *
فلتطلق الابراج كلها نيران مدافعها ،
ولسوف يشرب الملك نخب هاملت
ويسقط في الكأس جوهرةً
أثمن من تلك التي لبسها في تاج الدانمرك
أربعة ملوك متعاقبين . أعطني الكؤوس ،
ولينطق الطبلُ للأبواق
والابواق للمدفعيين في الخارج ،
والمدافعُ للسماء ، والسماءُ للارض :
« ها هو الملك يشرب نخب هاملت ! » هلمّا ابدآ ،
وانتم أيها المحكّمون ، اعملوا عينَ اليَقَظة !

(أبواق)

هاملت : هيا ، يا سيدي .

لرتيس : هيا ، يا مولاي .

(يتبارزان)

هاملت : واحدة !

لرتيس : كلا !

هاملت : رأي الحَكَم ؟

اوسرك : اصابة ، إصابة واضحة جداً !

لرتيس : طيّب من جديد .

الملك : انتظرا ! اعطني خمراً . هاملت ، هذه اللؤلؤة لك !

[يسقط لؤلؤة مسمومة في الكأس التي سيقدمها لهاملت]

* اي اذا ردّ على لرتيس ، في الجولة الثالثة ، أية اصابة قد يكون اصابها غريمه في الجولتين الاولين .

لنشرب نخبك ! أعطه الكأس .

(طبل ، وأبواق ، ودويّ مدفع)

هاملت : سألعب هذه الجولة اولاً . اليكم عنيّ بالخمر لحظة .

هيّا ! [يتبارزان] اصابة أخرى ! ماذا تقول ؟

لرتيس : لمسة ، لمسة ، اني اعترف .

الملك : ابننا سيكسب .

الملكة : انه بدين * قصير النَّفَس .

هاك منديلي يا هاملت ، وامسح جبينك .

وها هي الملكة تعبّ الخمر تيمّنا !

(تتناول كأساً)

هاملت : سيدتي الكريمة !

الملك : غرترود ، لا تشربي !

الملكة : سأشرب يا مولاي . أرجو عفوك . [تشرب]

الملك [جانباً] : انها الكأس المسمومة . فات الاوان !

هاملت : لا أجرؤ على الشرب الآن . بعد قليل .

الملكة : تعال دعني امسح وجهك .

لرتيس : مولاي ، سأصيبه الآن .

الملك : لا اظن .

لرتيس [جانباً] : ولكن يكاد يكون ذلك رغماً عن ضميري .

هاملت : هيّا الى الثالثة يا لرتيس . انك تعبث .

ارجوك ان تطعن بأمهر عنفك .

---

* يعتقد أن المراد بهذه الصفة هو الاشارة الى رينشارد بيربيج ، الممثل العظيم الذي مثل دور هاملت أيام شكسبير . أو هل يمكن لمن كان في مزاج هاملت ان يكون بديناً ؟

اخشى انك انما تداعبني .

لرتيس : أذلك ، قولك ؟ تفضل (يتبارزان)

اوسرك : لا شيء لكليكما .

لرتيس : خذها الآن !

(لرتيس يجرح هاملت ، ثم يتعاركان ويتبادلان السيفين ، فيجرح هاملت لرتيس .)

الملك : فرقوا بينهما . لقد غضبا !

هاملت : لا بل هيّا ، مرة اخرى .

(يقع لرتيس ، وتقع الملكة وهي تحتضر)

اوسرك : اعتنوا بالملكة يا قوم !

هوراشيو : انهما ينزفان من على الجانبين. كيف أنت يا مولاي؟

اوسرك : كيف انت يا لرتيس ؟

لرتيس : كعصفور وقعت في شَرَكي ، يا اوسرك .
لقد قُتلتُ عدلاً بغَدْري .

هاملت : كيف الملكة ؟

الملك : اغمي عليها لرؤية النزيف .

الملكة : لا ، لا . الشراب، الشراب. أوّاه حبيبي هاملت ــ
الشراب ، الشراب ! سمّوني !

(تموت الملكة)

هاملت : يا للنذالة ! كيف ، كيف ؟ اوصدوا الباب !
غدر ، غدر ! ابحثوا عنه !

لرتيس : انه هنا يا هاملت . في قبضة المنية انت ،
ولن يسعفك في الدنيا دواء .
لم يبق فيك نصف ساعة من الحياة .

وسلاح الغدر في قبضتك أنت ،
مسمومٌ غيرُ مفلول . عليّ دارت
الخديعة النكراء . انظر ، ههنا رقدتُ ،
ولن أقوم ثانية ، وأمُّك سُمّت .
لا استطيع اكثر . . . الملك . . . الملك . . . هو الملوم.

هاملت : والنصل مسموم أيضاً !
اذن عليك به يا سم ! (يطعن الملك)

الجميع : خيانة ، خيانة !

الملك : دفاعاً عني يا صَحْب ، ما أنا الا جريح .

هاملت : هاك أيها الدانمركي السفّاك ، الزاني ، اللعين ،
اجرع هذه الكأس. أجوهرتك هنا ؟ (يقحم بقايا الكأس في فم الملك) إلحق بأمي !
(يموت الملك)

لرتيس : عقاب عادل .
انه سمٌ هيأه بنفسه .
بادِلني الصفح والمغفرة، يا نبيل القلب ، يا هاملت.
لا كان دمي على رأسك ولا دم أبي ،
ولا كان على رأسي دمك . (يموت)

هامت : غفرته لك السماء ! سأتبعك .
لقد متُّ يا هوراشيو . وداعاً أيتها الملكة الشقية .
وانتم يا من شحبت وجوهكم ورجفتم لما حدث ،
انتم المشاهدون ، الممثلون الصامتون في فصلنا هذا :
لو اتسع لي الوقت (فهذا الموت شُرَطيٌ قاس
دقيق التنفيذ في إلقاء قبضه) لرويتُ لكم ـ

وليكن ! هوراشيو ، لقد متُّ
وستحيا : حدّث بالحقّ عني وعن قضيتي
كلّ من شك ولم يقتنع .

هوراشيو : لا وربك !
انني من قدامى الرومان * اكثر مني دانمركياً .
في هذه الكأس بقيةٌ بعد .

هاملت : يميناً برجولتك
اعطني الكأس . أفلتها ! والله لآخذنّها .
آه يا هوراشيو الكريم ، مجرّحاً سيظل اسمي بعدي
ان بقيت الامور هكذا مجهولة .
فان كنتَ احتويتني يوماً في قلبك
غيّب النفس عن هناءتها ردَحا
وفي عالم الجور هذا استلّ انفاسك ألما
لتروي قصتي .

(صوت خطوات عن بُعد . ودوي قذيفة من الداخل)

ما ضوضاء الحرب هذه ؟

(يدخل اوسرك)

اوسرك : هذا فرتنبراس الفتيّ ، وقد عاد مظفراً من بولندا ،
يطلق القذائف الحربية تحية
لسفراء انكلترا .

هاملت : اني أموت يا هوراشيو .
والسم الزعاف يعلو على النَفْس مني بصياحه ،

---

* كان النبلاء الرومـــان ، اذ اوشكوا على الوقوع اسرى ، يؤثرون الانتحار .

فلن أعيش لأسمع الانباء من انكلترا .
غير اني اتنبأ ان خلافة العرش ستستقر
على فرتنبراس ، وانا اهبه صوتي المحتضر ،
فارو له عما جرى ، عن الكبيرة والصغيرة ،
ليعرف دوافعي ... والبقية صمت وسكون .
(يموت)

هوراشيو : ها هو ذا قلب كبير قد تصدع ! طاب مساؤك يا اميري الحبيب ،
وحملتك الى راحتك الابدية اسراب من ملائكة يرتلون !
ما الذي يدنو بهذا الطبل منا ؟ (خطوات في الداخل)

(يدخل فرتنبراس ، وسفراء انكليز ، ومعهم جند ومرافقون ، وألوية واعلام)

فرتنبراس : اين هذا المشهد ؟

هوراشيو : ما الذي تروم مشاهدته ؟
أويلاً وعجباً عجابا ؟ كف عن بحثك اذن .

فرتنبراس : انه الصيد يصرخ بالقتل والدمار !
ايها الموت المصعر الخد كبرا ،
اي وليمة ستولم في حجرتك السرمدية
حتى اصبت برمية واحدة ، هذا العديد من الامراء
وسفكت هذا الدم كله ؟

السفير الاول: ما افظع المشهد !
وأمورنا وصلت من انكلترا متأخرة ،
والاذن التي يجب ان تصغي الينا فقدت حسها .

لقد جئنا لنخبره بأننا صدعنا لأمره
وان روزنكرانتز وغلدنسترن هما الآن في عـــداد الموتى .
من يشكر لنا ما فعلنا ؟

هوراشيو : لا شفتاه ،
لو أن فيهما قدرة الحياة على الشكر لكما .
فهو لم يصدر قط امراً بموتهما .
غير أنكم اذ قدمتم وهذه المقتلة الرهيبة بين ايدينا ــ
انتم من حروبكم البولندية ، وانتم من بلاد الانكليز ــ
اصدروا الأمر بوضع هذه الاجساد
على منصة رفيعة أمام اعين الملأ
ودعوني احدّث العالم الذي ما زال في جهله
كيف وقعت الاحداث هذه . ولتَسمعون عندئذ
عن أفعال ملؤها الفجور والقتل والشذوذ ،
عن احكام هي وليدة الصُدف ، ومجازر عفوية ،
وجرائم قتلٍ بالحيلة ومفتعل الحجج ،
وفي العقبى أغراض أسيء فهمها ،
حَلت برؤوس مبتكريها . كل هذا بوسعي
أن اروي حقيقته .

فرتنبراس : فلنسرع الى سَماعه
وندعُ أشراف القوم للاصغاء اليه .
أما أنا ، فانني بحزنٍ أتلقى هبة القَدَر .
ان لي في هذه المملكة حقوقاً تذكرونها
تحثني الآن على المطالبة بمكاني بينكم .

هوراشيو : ولديّ ما سوف يدعوني الى الكلام في ذلك
عن شفتيه اللتين لن يجرّ الصوتُ فيهما نَفَسا .
ولكن افعلوا ما ذكرتموه الآن
وخواطر الناس بعد في هوجانها ، لئلا يقع المزيد
في الأذى أخطاءٌ ومكائد .

فرتنبراس : ليتقدم أربعة من رؤوساء الجيش
ويحملوا هاملت الى المنصة كجنديّ ،
لأنه لو كان اتيح له ان يُمتحن
لأبلى ولا ريب بَلاء الملوك . ولوفاته
أفصحي عنه يا موسيقى الجند ومراسيم الحرب
جَهْوَريّاً !
ارفعوا الجثمان . مشهد كهذا
خليق بساح القتال ، ولكنه هنا في غير موضعه .
إذهب ، ومُر الجنود باطلاق المدافع .

(مسيرة جنائزية . ثم دويّ قذائف من الداخل)

215 / 218

تصوير وطباعة مطبعـــة المتوسط - بيروت



هاملت
أمير الدانمارك

شخصية من اشهر الشخصيــات ، منذ أن شوهدت لأول مرة قبل أكثر من ثلاثة قرون ونصف قرن على خشبة مسرح في لندن : لم تكن شخصية واقعية بل شخصية خلقها خيال شاعر ، فتجسّدت في خيال الحضارة أكثر مما تجسّد أي رجل عاش التاريخ وصنعه . هذه شخصية هاملت : شخصية لا تستنفد مهما تأملها المتأملون ، كأن القلعة التي عاش فيها هاملت مأساته ، جمعت رموز حضارة برمتها ـ حضارة تعظّم الفكر والتساؤل ، تحسّ بروعة الدنيا وجمال الانسان ، ولكنها تحسّ ايضا بالأبخرة الموبوءة التي تغزو الحياة ، والغوامض الرهيبة التي تكتنف الانسان .

تمتاز ترجمة جبرا ابراهيم جبرا لمسرحية « هاملت » بنقلها النص الأصلي الى العربية بتداخلاته وتعقيداته كلها ، فهي تتضمن ذلك المزيج الشكسبيري المدهش من التجسيد والايحاء وتقارب بذلك لغة شكسبير كما لم تقاربها أية ترجمة اخرى .

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير
ت : ٣١٢١٥٦ ـ برقياً « موكيالي » بيروت
ص . ب . ١١/٥٤٦٠ بيروت

السعر ١٠ ل . ل .
أو ما يعادلها